الدور التربوي للمسجد في صدر الإسلام

إعداد الدكتور/ سعد بن هاشم العليانى[1]

المحور الأول

الإطار العام للدراسة

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .. أما بعد :

فلقد كان لتعجيل الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء المسجد عند وصوله المدينة أثره البعيد المدى في تكوين الدولة الإسلامية ، حيث أصبح المسجد معهد التعليم ، ومركز الرعاية الاجتماعية ، ومنطلق الجيوش ومستشفى الجرحى ، والمركز الإعلامي الذي تذاع فيه الأخبار وتتداول .. إضافة إلى العبادة والصلاة فيه .

ولقد كان المسجد بهذا العمل يؤدي رسالة تربوية في المجتمع الإسلامي بالغة الأثر ، حيث تم بناء الشخصية الإسلامية من جميع جوانبها – الجسمية والروحية والعقلية – بناء متكاملاً متوازناً وشاملاً ، وفق تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام

---

١ – أستاذ مساعد بكلية الجبيل الجامعية ، الهيئة الملكية للجبيل و ينبع .

ولو لم يكن المسجد مهماً في بناء الأمة الإسلامية ، لما أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد في المدينة ، ولما أقامته الجيوش الإسلامية – بعد ذلك – في كل بلد يفتحها المسلمون .

من هنا تبدو لنا أهمية المسجد وعظم دوره ورسالته في بناء المجتمع الإسلامي وتربيته تربية إسلامية وفق أهداف التربية الإسلامية وقيمها المستمدة من نور كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام .

ومما يدل على مكانة المسجد وعظم منزلته عند الله ، أنه سبحانه وتعالى هو الذي فضل المساجد ، ورغب في بنائها ، وعمارتها حساً ومعنى ، وجعل أصل وظائفها ذكره ، وإقام الصلاة له ، وهي أهم أركان عبادته بعد الشهادتين. قال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ . { النور: ٣٦-٣٧ } .

ويعد الحديث عن المسجد حديثاً عن المؤسسة التربوية الأولى في الإسلام ، والذي ساهم في نشر العلم والمعرفة. فهو بيت الأتقياء ، ومكان اجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات ، ومحل تناصحهم وتشاورهم ، ومن المسجد خرجت الجيوش الإسلامية وفتحت مشارق الأرض ومغاربها. { الجار الله ، ١٤٠٨هـ ، ص١٩ }.

ووظائف المسجد التي تبرز دوره في الإسلام أكثر من أن تحصى . فمن وظائفه أنه أحد الأسس والدعائم التي أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية عليها. ومن المسجد ينطلق صوت الحق مدوياً ، فهو تطبيق

عملي للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله . ويعد الجامعة الأولى التي تخرج منها الأكفاء . ويكتنف التعليم في المسجد جو تعبدي ، يشعر فيه المعلم والمتعلم والسامع أنهم في بيت من بيوت الله ، فيكونون أقرب إلى الإخلاص والتجرد والنية الحسنة ، لا يقصدون في الغالب من التعلم والتعليم إلا وجه الله ، وهو أيضاً دار للفتوى ومحكمة للقضاء . فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس لأصحابه في المسجد ، فيسألونه ويجيبهم { الأهدل ، ١٤١١هـ ، ص٧٣-٧٩ } بل لقد خصص الرسول صلى الله عليه وسلم مكاناً في المسجد لإيواء الفقراء والمحتاجين ، وكان هذا المكان يعرف بالصفة ، نزل به نحو سبعين من فقراء الصحابة وكان ينفق عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . كما كان صلى الله عليه وسلم إذا همه أمر جمع الناس في المسجد ، وهذا مما يدل على عناية الإسلام بالمسجد { الجار الله ، ١٤٠٨هـ ، ص٢١ } .

تساؤلات البحث :

يحاول البحث الإجابة على التساؤلات التالية :

س١/ ما أهمية ومكانة المسجد في الإسلام ؟

س٢/ ما الدور التربوي للمسجد في الإسلام ؟

س٣/ إلى أي مدى امتد أثر المسجد التربوي في المجتمع الإسلامي ؟

س٤/ كيف استطاع المسجد أن يقوم بأدواره التربوية بنجاح ؟

أهمية البحث :

تتضح أهمية دراسة الدور التربوي للمسجد في الإسلام فيما يأتي :

١- أن المسجد هو المقر الذي يجتمع فيه المسلمون في اليوم خمس مرات لعبادته سبحانه وتعالى ، وهو المدرسة الأولى في الإسلام.

٢- يعد المسجد بشكل عام ، والمسجد النبوي بشكل خاص الجامعة الإسلامية الأولى التي تخرج منها الأكفاء من الرجال ، والذين قامت على أكتافهم الدولة الإسلامية ، فكان مسجده صلى الله عليه وسلم مقر تعليم الأمة ، قولاً وعملاً ، وكان أصحابه رضي الله عنهم يتحلقون حوله يسمعون حديثه صلى الله عليه وسلم . فقد روى أبو واقد الليثي رضي الله عنه أنه قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد ، والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد ، فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم ، وأما الثالث فأدبر ذاهباً ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ، أما أحدهم فأوى إلى الله عز وجل فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه) . { البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب الصلاة ، باب الحلق والجلوس في المسجد ، حديث رقم ٤٧٤ ، ص١٦٤ }.

٣- في المسجد نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبين جنباته ، كانت الصفوة المختارة من أجلاء الصحابة تتعلم وتتلقى

توجيه السماء ممن لا ينطق عن الهوى ، ومن هذا المكان الطاهر انطلقت جحافل المجاهدين تغزو وتفتح وتنشر نور الإسلام في المشرق والمغرب. كما كان مركزاً للخلافة الإسلامية أيام أبي بكر وعثمان وكان المكان المفضل والمختار لمجلس قضاء عمر بن الخطاب ، وتدبير شئون دولة الإسلام الفتية .

٤- تأديته لدور تربوي بارز من خلال حلقات العلم.

لذلك كله تتضح أهمية الدراسة عن الدور التربوي للمسجد في صدر الإسلام.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعرف على أهمية المسجد في الإسلام وبيان الدور التربوي الذي كان يقوم به في المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، كما يهدف إلى بيان المدى الذي امتد إليه تأثير رسالة المسجد في بناء ذلك المجتمع وتربيته والأسباب التي أدت إلى نجاحه في تربية هذا المجتمع.

حدود البحث :

لقد اختار الله تعالى المساجد لتكون بيوته في الأرض ، ليقام فيها ذكره ويسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة. ولقد كان المسجد مصدر نور وإشعاع ومدرسة للتربية الروحية ، والبدنية ، ومكاناً للتخطيط الحربي ، ومكاناً تنطلق منه أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فوظائف المسجد وأدواره أكثر من أن تحصى ، وقد اقتصرت هذه الدراسة على إبراز الدور التربوي للمسجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين .

منهج البحث :

استخدم الباحث في بحثه لهذا الموضوع المنهج التاريخي من خلال رجوعه إلى المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ المسجد في صدر الإسلام والأدوار التي قام بها في ذلك العصر الزاهر .

واستخدم الباحث أيضا المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف والتحليل لواقع المسجد في عصر صدر الإسلام بقصد الكشف عن الدور التربوي الذي كان يقوم به المسجد حينذاك .

الدراسات السابقة :

الدراسة الأولى : دراسة مندیلی (١٤١٢ هـ) بعنوان " الدور التربوي للمسجد الحرام " وكان من أهداف الدراسة :

١. التعرف على أهمية ومكانة المسجد الحرام قبل الإسلام وبعده .

٢. التعرف على أهمية المسجد ومكانته ودوره التربوي .

٣. التعرف على الدور الثقافي والتربوي للمسجد الحرام خلال عصوره التاريخية .

٤. التعرف على الدور التربوي الحالي للمسجد الحرام كأقدم جامعة ومنارة للتعليم والثقافة .

أما منهج الدراسة فقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التاريخي بالرجوع إلى الكتب والمصادر التاريخية للتعرف على الدور التربوي للمسجد الحرام خلال العصور المختلفة .

وقد تناولت الدراسة القضايا التالية : أهمية المسجد والأثر التربوي له ، ومكانة وتاريخ المسجد الحرام ، والمسجد الحرام منارة التعليم والثقافة .

وكان من أبرز نتائج الدراسة ما يلي:

١. إن بيت الله الحرام أعز مكان على وجه الأرض عند الله تعالى وعند المؤمنين ، بل أقدم جامعة .

٢. المسجد الحرام منارة الإشعاع للعالم الإسلامي وثاني جامعة بعد دار الأرقم ، وقام المسجد الحرام بدور الريادة العلمية ، وكان قلب المجتمع النابض ومقصد طلاب العلم والعلماء .

الدراسة الثانية : دراسة الجهنى (١٤١٩ هـ) بعنوان : " الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف " .

وقد هدفت الدراسة إلى :

١. التعرف على أهمية المسجد في الإسلام بشكل عام والمسجد النبوي بشكل خاص .

٢. التعرف على الدور التربوي للمسجد بشكل عام والمسجد النبوي بشكل خاص .

٣. التعرف على دور المؤسسات التابعة للمسجد النبوي كالمكتبة وحلقات تحفيظ القرآن الكريم .

واستخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي من خلال الرجوع إلى المراجع التاريخية التي تتناول تاريخ المدينة والمسجد النبوي . وكذلك استخدم المنهج الوصفي لوصف الدور التربوي للمسجد النبوي والمؤسسات التابعة له .

وقد احتوت الدراسة على القضايا التالية : رسالة المسجد في الإسلام ، والمسجد النبوي النشأة والمكانة ، والمسجد النبوي منارة للعلم والمعرفة ، والمؤسسات التربوية الملحقة في المسجد النبوي .

وكان من أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي :

١. للمسجد النبوي دور كبير في حياة المسلمين وكان يمثل جامعة الإسلام الأولى .

٢. النشاط الثقافي والتعليمي الكبير الذي يقوم به المسجد النبوي من خلال الخطب والمحاضرات والدروس .

٣. يعتبر المسجد النبوي مؤسسة تعليمية قائمة بذاتها .

التعليق على الدراستين السابقتين :

من خلال استعراض الدراستين السابقتين يتضح أن هاتين الدراستين تناولت بعض الأدوار التربوية التي يقوم بها المسجد الحرام والمسجد النبوي في العصور القديمة وفي العصر الحالي ، بينما هذا البحث يركز على الدور التعليمي والتربوي للمسجد في صدر الإسلام فقط مع التركيز على ما كان

يقدمه المسجد في ذلك الوقت من أدوار تربوية وتعليمية في كافة المجـــالات من خلال الاستشهاد بقدر كبير من النصوص التي تؤكد ما ذهبنا إليه .

المحور الثاني

المسجد في القرآن والسنة

أولاً : المسجد في القرآن

لقد ورد ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام في القرآن الكريم بلفظها
(٢٨ مرة ، ووردت الإشارة إلى المسجد الحرام بلفظ بيت ١٧ مرة ، ووردت الإشارة إليه باسم مقام إبراهيم ومصلى مرة واحدة ، ووردت الإشارة إلى المساجد بلفظ البيوت مرة واحدة ، ولكل مرة مناسبتها) { مؤنس ، ١٤٠١هـ ، ص١١ }.

ومن أمثلة الآيات التي أشارت إلى المساجد :

قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ *إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ { التوبة: ١٧ – ١٨ }.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا ﴾ { البقرة: ١١٤ }.

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ { الأعراف : ٢٩ }.

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المسرفين ﴾ { الأعراف : ٣١ }.

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ { الجن : ١٨ }.

ثانياً : المسجد في السنة

وإذا عدنا إلى السنة المطهرة باحثين عن مواضع العناية بالمسجد فيها فإنا واجدون الاهتمام والتركيز الهادف من الرسول عليه الصلاة والسلام نحو المسجد سواء كان ما يتعلق ببنائها وطهارتها والإخلاص فيها وحسن الأدب والأخلاق وكل ما يحقق أنها بيوت الله وينمي جانب التوحيد إخلاصاً وتوجهاً نحو الله تعالى ويعلي شعار العبادة خضوعاً وخشوعاً لرب العالمين ولا عجب فإن السنة المطهرة شرح للكتاب العزيز وبيان صادق وموثوق لأهدافه وتوجيهاته ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتن بعمران كما اعتنى بعمارة بيوت الله التي كان قلبه الكبير معلقاً بها وقرة عينه في الصلاة وما أرسى حجراً لبناء إلا لبناء المسجد وهو أول مؤسسة وضع لها حجراً وبناها في نشأة الدولة الإسلامية الأولى التي أرسى قواعدها وأسسها بنظامها ودستورها (الوحي) ولهذا أثبت تاريخياً ومنهجياً أن المسجد أول مؤسسة لتنمية الدولة الإسلامية وأول جهة يجب على القائد المسلم أن ينفق عليها ويباشر بناءها بنفسه ويربط بها الجماعة الإسلامية التي يقودها ويتولى أمرها ومن هذه المؤسسة تنمو وتنطلق الخدمات الاجتماعية والقضائية والثقافية والسياسية . { الأنصاري ، د.ت ، ص٦٩ }.

إن هؤلاء هم القادة بحق لم تكن قيادتهم في الجوانب المادية فحسب وإنما هم قواد في الأخلاق وإخلاص العبادة لله تعالى وإعلاء كلمة الله وشعاراتها كالمسجد.

وسيورد الباحث أورد هنا بعض النصوص من صحيح البخاري التي تدل على العناية بالمساجد ومن ذلك :

(عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بصاقاً في جدار القبلة فحكه ثم أقبل على الناس فقال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى) { البخاري ، د.ت ، ج١ ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ٧٠ }.

وحديث آخر يبين حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على نظافة المسجد (فعن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في جدار القبلة مخاطاً أو بصاقاً أو نخامة فحكه) { البخاري ، د.ت ، ج١ ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ٧١ }.

وموقف آخر يوضح عناية الرسول الكريم ببيوت الله (فعن أنس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها) { البخاري ، د.ت ، ج١ ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ٧٧ }.

وقد حث صلى الله عليه وسلم على بناء المساجد ، ووعد من يفعل ذلك بالأجر العظيم حين قال (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة) { البخاري ، د.ت ، ج١ ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١١٠ }.

(وعن أبي هريرة أن رجلاً أسود كان يقم المسجد فمات فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا مات قال أفلا كنتم آذنتموني به دلوني على قبره فأتى قبره فصلى عليه) { البخاري ، د.ت ، ج١ ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١١٧ }.

وهذا الحديث السابق يدل على عناية النبي الكريم بنظافة المساجد وفضل من يقوم على نظافتها.

وهذا موقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يؤكد فيه أهمية احترام بيوت الله وعدم رفع الصوت فيها بل يجب على المسلم التأدب إذا دخلها (فعن السائب بن يزيد قال كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقال اذهب فاتني بهذين فجئته بهما قال من أنتما أو من أين أنتما ، قالا من أهل الطائف ، قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) { البخاري ، د.ت ، ج١ ، كتاب الصلاة ، رقم الحديث ١٢٩ }.

كل هذه النصوص التي أوردناها من المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي تدلنا دلالة واضحة على الاهتمام البالغ ببيوت الله عز وجل .

المحور الثالث

أهمية المسجد وعلاقته بالمجتمع المسلم

على الرغم من أن اشتقاق كلمة مسجد جاءت من السجود ، الذي هو كناية عن الصلاة ، إلا أنه من المؤكد أن الحكمة من ضرورة إنشاء المساجد في الإسلام ليست مجرد الصلاة .

وقد اختص الله هذه الأمة بجملة من الخصائص ، منها: أن الله تعالى جعل الأرض مسجداً ، أي مكاناً للصلاة ، فلا تتعين للصلاة بقعة من الأرض دون أخرى ، مهما تفاوتت في المزايا ، إذا توافر شرط الطهارة في المكان.

وحيث أن الله جعل الأرض مسجدا وطهوراً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فللمسلم أن يدخل في الصلاة أياً كانت الأرض التي وجد نفسه عليها ، وليس من الحتم عليه أن يؤم للصلاة مسجداً ما ، أو أي مكان معين .

غير أن للمسجد مع ذلك أهميته الكبرى ، فلقد نوه القرآن الكريم بالمسجد وخطورته ، والمثوبة الكبرى للمشتغلين بعمارته ، فقال عز وجل :

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾ { النور: ٣٦-٣٧ }. وقال عز من قائل : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ { التوبة : ١٨ }.

وكلنا يعلم أنه صلى الله عليه وسلم ، مـــا إن وطئـــت قـــدماه أرض المدينة المنورة مهاجراً إليها ، حتى بدأ قبل كل شيء بعمارة المسجد ، فجعل يستعجل في بنائه ، ويستعجل أصحابه في ذلك ، ولا يلوي على شيء آخر ، حتى أتمه ثم انصرف إلى أمور الدعوة وشؤون المسلمين. { السدلان ، ١٤١٥هـ ، ص١٦ }.

فما هي حكمة هذه الأهمية التي يوليها الإسلام للمسجد مع مـــا قـــد علمناه من أن الأرض كلها مسجدا ومكانا للصلاة ، فلـــيس حتمـــاً لصـــحة الصلاة ألا تقام إلا في مسجد معدل لها ؟

يقول { السدلان ، ١٤١٥هـ } (الحكمة هي أن المسجد بوتقة لا بد منها ، لتتصهر فيها النفوس ، وتتجرد من علائق الدنيا ، وفوارق الرتب والمناصب ، وحواجز الكبر والأنانيات ، وسكرة الشهوات والأهواء ، ثم لتتلاقى في ساحة العبودية الصادقة لله عز وجل بصدق وإخلاص ، فالمسجد هو المكان الوحيد الذي يصهر النفوس هذا الصهر ويحولها هذا التحويل ، ثم يطبعها بطابع العبودية لمولاها عز وجل . وعندئذ يكون لحقائق الإيمان بالله عز وجل وجود ملموس يهيمن على صاحبه بالقيادة والتوجيه ، فلا تكون عبارة عن قائمة محفوظات مركونة في زاوية من العقل والفكر ، بعيداً عن قيادة العواطف والوجدان والشعور) {ص١٧ }.

ولا بد أن تلقى أحكام الشريعة الإسلامية عندئذ تجاوبا وإذعانا ، من المسلم الذي رباه المسجد هذه التربية ، فيشعر بمعاني الأخوة الإسلامية قائمة راسخة بينه وبين سائر المسلمين على اختلاف منازلهم ورتـــبهم الدنيويـــة ، ويجد نفسه مندفعاً إلى وضع مقتضيات هذه الأخوة موضع التنفيـــذ ، فيـــؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، ويغلق على نفسه نوافذ الغش والخديعـــة

لسائر عباد الله ، منساقاً بكل رغبة وطواعيـــة للالتـــزام بأحكـــام الشـــريعة الإسلامية دون حاجة من رقيب ودون ملاحقة من ذي سطوة أو سلطان .

إن ركعة واحدة يؤديها المسلمون في بيت من بيوت الله ، جنباً إلـــى جنب ، تغرس في نفوسهم من حقائق المساواة الإنســـانية وموجبـــات الـــود والأخوة ، ما لا تفعله عشرات من الكتب التي تدعو إلى المساواة وتتحـــدث عن فلسفة الإنسان المثالي .

لذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إقامة المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بعمارة المسجد ، معلناً بذلك أنه الركن الأول والدعامة الأولى لقيام المجتمع الإسلامي ، حتى إذا تمت عمارة المسجد وأقبل المسلمون إليه ، شد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلوب المسلمين في ظله ، إلـــى بعضـــها بنياط الأخوة في الله ، فكان لهم من المسجد خير ضمانة لذلك ، وأعظم ملاذ من مشاغل الدنيا وفتن الشهوات والأهواء.

إننا عندما ندرك هذه الأهمية للمسجد ، وهذه الوظيفة التربوية لا يقوم بها إلا المسجد ، نتصور مدى تقصيرنا في القيام بحق المسجد ومدى إهمالنا لشأنه .

إن علاقة المسجد بالمجتمع أقوى من أن تقف عند خمـــس صـــلوات تؤدى فيه في اليوم والليلة ، ثم يغلق بابه فيما بين ذلك ، وتنقطـــع علاقتـــه بالمسلمين وسائر شئونهم وأحوالهم.

إن مؤسسة لها ذلك السلطان الذي ذكرناه على نفوس الناس والأثـــر الذي أوضحناه في تهذيبهم لا بد أن تكون علاقته بالوضع الاجتماعي وأحواله ، علاقة قائمة على تفاعل ثابت ومستمر. { السدلان ، ١٤١٥هـ ، ص١٨ }.

أولا : مكانة المسجد في الإسلام :

لقد كان المسجد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنطلق الأول للدعوة الإسلامية والمركز الأساسي الذي انبثق منه نور الرسالة المحمدية التي قلبت موازين الحياة السائدة في عصر الجاهلية.

فلقد أدى المسجد في الإسلام دوراً كبيراً في التوجيه والدعوة وإصلاح العباد وتربيتهم والحفاظ على الوحدة الإسلامية حقيقة ومظهراً .

إن البدء في بناء المسجد في المدينة في بداية الأيام الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية دلالة كبرى على أبعاد الأهمية التي ينطوي عليها التخطيط لبناء هذه الدولة من مجتمع بدأ يكتسب صفة الرسوخ والتماسك من التزامه الإسلام عقيدة وشريعة ، فمن المسجد تفجرت ينابيع العلم والهدى وأصول الحضارة المثلى التي ما لبثت أن عمت العالم فغيرت معالمه وشقت الطريق له إلى طريق لا عهد له بمثله من قبل. { الرشيد ، ١٤٠١هـ ، ص٣ }.

إن الوسيلة التي اتخذها الإسلام لخلق نموذج الفرد المسلم أولاً ليكون اللبنة الأولى في المجتمع ثم الدولة الإسلامية هي المسجد، فلم يكن المسجد مجرد مكان للعبادة فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك قوة مؤثرة في بناء الشخصية الإسلامية من جميع جوانبها العقلية والجسمية والروحية.

والمسجد هو أحب البقاع إلى الله تعالى. فهو قلعة الإيمان وحصن الفضيلة ، وهو بيت الأتقياء ومكان اجتماع المسلمين يومياً. وهو مركز مؤتمراتهم ومحل تشاورهم وتناصحهم ، والمنتدى الذي فيه يتعارفون ويتآلفون وعلى الخير يتعاونون. لذا كان المسجد أول شيء يهتم به النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة. { أبو النصر ، ١٤٢١هـ ، ص١٢ }.

فكان بناء المسجد أول المهام التي بادر رسول الله إلى إنجازها منذ الهجرة الشريفة، فبنى لله مسجداً قبل أن يبني لنفسه بيتاً في المدينة المنورة. وذلك لأهمية المسجد في بناء الشخصية المسلمة وتنشئتها. وكان هذا منهج الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين من بعده حتى توالى بناء المساجد مع الفتوحات الإسلامية.

ومما يدل على مكانة المسجد وعظم منزلته عند الله أنه سبحانه هو الذي فضل المساجد ، ورغب في بنائها وعمارتها ، حساً ومعنى ، وجعل أصل وظائفها ذكره ، وإقام الصلاة له ، وهي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين ، اللتين هما أصل عبادته وذكره.

والله سبحانه وتعالى – وهو مالك كل شيء – نسب المساجد إليه وشرفها وعظمها بإضافتها إليه ، فليست هي لأحد سواه ، كما أن العبادة التي كلف الله عباده إياها لا يجوز أن تصرف لسواه ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ {الجن: ١٨}.

ومما يدل على مكانة المسجد عند الله أن عُمّاره مادياً ومعنوياً هم صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين ، وأتباعهم من عبادة المؤمنين ، قال تعالى في عمار سائر المساجد : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ { التوبة : ١٨ }.

(فالمساجد بيوت الله ، فيها يعبد وفيها يذكر اسمه ، وزواره فيها عمّارها ، وهي خير بقاع الله في الأرض ومنارات الهدى وأعلام الدين ، فكما أنها مجالس للذكر ، ومحراب للعبادة ، فهي منارات لتعلم العلم ومعرفة

قواعد الشرع بل هي أول المؤسسات التي انطلق منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام) { السدلان ، ١٤١٥هـ ، ص٨ }.

وهذا خير برهان على أن العلم في الإسلام نشأ في أحضان الدين ، وأنشئت المدارس في صحون المساجد ، وبدأت الجامعات العريقة تحت سقوف الجوامع ، وكانت هذه الجوامع تدرس علوم الدين والدنيا معاً .

وقد استمرت المساجد تؤدي هذا الدور العظيم قروناً طويلة من الزمن ، ورافق ذلك قوة للأمة الإسلامية في كل المجالات ، ولكن حين ضعف دور المسجد في البلاد الإسلامية ضعفت هذه الأمة وأصبحت صيدا سهلا لأعدائها .

ومن دلائل مكانة المسجد في الإسلام نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن البيع والشراء فيها ، وعن نشدان الضالة بها ، كما نهى من أكل البصل أو الثوم أن يأتي المساجد ، أو يصلي مع الناس ، وكذلك نهى عن غشيان الصبيان والمجانين المساجد ، وعن سل الأسلحة بها ، والبصاق فيها.

كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على بناء المساجد وتنظيفها وتطييبها وإخراج القمامة منها .

وزاد من اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسجد أنه كان إذا حضر من سفر يبدأ بالمسجد ، فيقصده قبل أن يدخل بيته ، ويصلي ركعتين ، ثم يجلس فيه .

ومما يزيد من مكانة المسجد عند الله أن عمّاره – ماديا ومعنويا – هم صفوة خلقه من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من عباده المؤمنين {منديلي، ١٤١٢هـ ، ص١٧-١٩}.

ومما سبق تتضح الأدوار (التي كان يضطلع بها المسجد في بناء الأمة الإسلامية وتربيتها على ما جاء من أسس تربوية إسلامية مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله والتي شملت جميع جوانب شخصية الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة المسلمة باتزان بديع وفريد من نوعه تعجز عن القرب إليه جميع الأنظمة التي تدعو إلى بناء شخصية الفرد والمجتمع). { سلطان ، ١٩٧٧م ، ص٤٤ }.

ثانيا : رسالة المسجد :

اهتم الدين الإسلامي بالمساجد . لأن رسالتها غايتها إرساء دعائم الدين والعلم والحضارة ، وهدفها إقامة أمة بالله مؤمنة وبالعلم منتفعة . وفي مجال حضارة المجتمع وعمران الحياة ساعية. وعاملة بجد وإخلاص واجتهاد نحو بناء مجتمع فاضل.

أن رسالة المساجد ، هي لب الدين الإسلامي . وجوهر الشريعة السماوية ، التي تقوم على تهيئة مناخ طيب يستطيع الإنسان أن يتمتع بحقوقه ويطمئن فيه إلى حاضره ومستقبله.

وأن الثروة العلمية التي نبعت من المساجد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر أصحابه والتابعين. في مختلف العلوم والفنون ونقلتها إلينا الكتب وتوارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل لأكبر دليل على أن رسالة المساجد. لها فضل كبير في دفع الحضارة الإنسانية إلى العلم والمعرفة والنهضة الحضارية التي عمت المعمورة. { الطنطاوي ، ١٣٩٣هـ ، ص٤٧ }.

وإذا كان شعار المسجد شعاراً دينياً ، فإن الرسالة التي من أجلها بنيت المساجد تهدف إلى سعادة الناس في دنياهم وأخراهم. فالإسلام يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به. والعمل لتحصيل أرزاقهم ومعاشهم وعمران حياتهم وتقدم مجتمعهم ، وألا يزهدوا في الدنيا زهداً يفسد عليهم حياتهم ويعوق تقدم مجتمعهم ويعطل مواهبهم التي انعم الله بها عليهم ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾. {القصص:٧٧}.

وليست رسالة المسجد غربة وبعداً عن الدنيا وتعطيلاً لاكتساب الرزق. وإلا كان كل ذلك هروباً من معركة الحياة التي فرضها الله على الأحياء. وألله عز وجل يقول:
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. { الجمعة: ١٠ }.

ففي هذه الآية الكريمة موازنة بين عبادة الله تعالى وأداء فرائضه وبين العمل والسعي لكسب الرزق الحلال.

لذلك كان المسجد في الإسلام مكاناً لالتقاء المسلمين ونادياً لمشورتهم ومحلاً لمعرفة الحقيقة الإلهية وملجأ لإنارة السبيل أمام النفس والضمير وهو في الوقت نفسه مكانا لتقوى الله والرجوع إليه وموطنا لدروس العلم النافع وحلقات الوعظ الصحيح يجد فيه المسلم فسحة الأمان ومتعة الروح واطمئنان التوكل على الله والتسليم إليه. { التارزي ، ١٣٩٥هـ ، ص٧١ }.

والمساجد في الإسلام ليست محلات عبادة فحسب بل كانت منبعاً لحضارة قدمت للإنسانية أجل الخدمات ومصدراً لثقافة تبوأت بين الثقافات العالمية مركزاً مرموقاً.

والعبادة نفسها التي تؤدى في المساجد ما هي إلا مظهرا من مظاهر الثقافة فالصلاة التي تعبدنا الله بها خمس مرات في اليوم والليلة ما هي إلا لون من ألوان الثقافة لأن عماد الذكر فيها القرآن الكريم الذي كان له الأثر الكبير في منطق الأمة الإسلامية وتصوراتها ، كان له الأثر في آداب الناس واعتقاداتهم وكان يهدي للتي هي أقوم ، وأي دور للثقافة أجل من الهداية للأقوم. { التارزي ، ١٣٩٥هـ ، ص٧٤ }.

كما أن الإسلام شرع لنا داخل المساجد وسائل أخرى تثقيفية فوق قراءة القرآن وتدبره في الصلاة الا وهي الخطب الجمعية التي تتناول أساساً مشاكل المجتمع وتجد لها الحلول على ضوء الشريعة المطهرة مستنيرة بنور الإسلام الساطع فتصف الدواء والعلاج الدواء الإلهي الذي تلتئم به الجراح لأنه من لدن عليم خبير.

بهذا نعلم أن مهمة المسجد لا تنحصر في اتخاذه مكاناً للعبادة بل أنه كان وما زال يعتبر معقلاً من معاقل الهداية والإرشاد ومركزاً من مراكز التعليم والتوجيه لما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة ومدرسة لتقويم سلوك الإنسان وتقوية إرادته ودفعه إلى الاستقامة والخير ترعرعت محافل العلماء بين عمده ومحاريبه وتخرجت قوافل الخبراء من ميادين أفنائه. { التارزي ، ١٣٩٥هـ ، ص٧٥ }.

هذا وقد حدد {منديلي ، ١٤١٢هـ} رسالة المسجد في الآتي :

١- أن المسجد هو القاعدة التي تنطلق منها رسالة المؤمن الراكع الساجد الشاكر الحامد لربه ، وهو منبر السماء على الأرض ، والصلة التي يلتقي فيها عالم الأرض بعالم السماء ، وتتحقق العبودية فيها بمعناها الصحيح الواضح بالأسلوب المطلوب.

٢- والمسجد هو المدرسة التي تكتسب فيها النفوس تربية روحية باتصالها بالله سبحانه وتعالى ، وعقلية بتأملها في مخلوقاته ، وجسمية في المحافظة على الصلوات وتأدية حركاتها تامة ومتقنة.

٣- والمسجد مأوى الغريب ، ومنزل الضيف ، ومجلس الضعفاء ، يجد فيه كل صنف من هؤلاء حاجته ، وطمأنينة نفسه. ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسجد مأوى للمحتاجين ، فكان فيه مكان يسمى الصفة ، يسكن فيه من لا سكن له من الفقراء . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشركهم فيما يهدى إليه ، ويخصهم بالصدقة التي تأتيه ، وكان إذا قدم قوم عليه ولا مأوى لهم ، أنزلهم في المسجد.

٤- والمسجد ساحة لتعليم الفروسية، حيث كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يشهد دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، حيث يحثهم على الجهاد في سبيل الله ومن المسجد ينطلقون. بل لقد ترك بعض جنود الإسلام يتعلمون فيه على السلاح ، وهو ينظر إليهم.

٥- المسجد مقر ودار لمجلس الشورى: حيث تعرض فيه شئون الأمة ، وما يعن لها من المشكلات ، وتناقش على ضوء الكتاب والسنة الأمور التي لم يرد فيها نص ، ثم يجمع فيها المسلمون على رأي ، ويكون ذلك حكماً ماضياً في الناس.

٦- والمسجد دار للفتوى ومحكمة للقضاء ومكاناً للصلح بين المتخاصمين.

٧- والمسجد هو بيت الله لأداء شعائره التعبدية من صلاة وذكر وتسبيح. {ص٢٠-٢٤}.

ثالثا : أثر المسجد في المجتمع :

أ : انتشار العلم وغرس التربية الإيمانية :

إن وجود المسجد على الهيئة التي أراد الله أن تكون له ، كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين يكون من أهم آثاره انتشار العلم بين المصلين وغيرهم لأن المصلي الذي يعتاد المساجد المعمورة بالعبادة والتعليم والذكر وقراءة القرآن ، لا تمضي عليه فترة من عمره إلا وقد تعلم الكثير من أمور دينه ودنياه في الكتاب والسنة والتفسير والفقه وغيرها. هذا إذا كان مجرد مستمع في حلقات الدروس التي تعقد في المسجد ، أما إذا كان طالباً ملازماً للحلقات ويستمع لشرح شيخه فإنه بعد فترة من الزمن يكون مثل شيخه معلماً له طلابه الذي يتحلقون حوله ، وهكذا تصبح الحلقة الواحدة بعد مضي سنوات حلقات في المسجد الذي تعلموا فيه أو في

غيره لأن كل واحد في الحلقة يصبح شيخاً لحلقة ، وهذا هو سر كثرة العلماء المتبحرين في القرون الأولى الذين صاروا أئمة في كل من فنون المعرفة.

ب : التعارف والأخوة الإسلامية :

إن التعارف قاعدة من قواعد الآداب الإسلامية ، بل هو ضرورة من ضرورات المعاملات بين الناس . وإذا كان تعارف عامة الناس يقصدون من ورائه المصالح المادية على مستوى الأفراد والدول ، فإن التعارف عند المسلمين المقصود الأول منه تحقيق الأخوة الإسلامية وما يترتب عليها.

وإن المسجد لكفيل بإيجاد تعارف أخوي إيماني لا ينسى ، ذلك أن المصلين في الحي الواحد يلتقون في المسجد خمس مرات في اليوم والليلة ، إذا كانوا لا يأتون إلى المسجد إلا لأداء صلاة الفريضة أما إذا كانت تربطهم حلقات الدرس فإن لقاءهم يكون أكثر وكذلك إذا كانوا يجتمعون فيه لمناسبات أخرى كأعضاء الجمعيات الخيرية المرتبطة بالمساجد ، وكذلك صلاة العيدين والجمعة وغيرها. إن أهل الحي الواحد بعد فترة قصيرة يصبحون كلهم متعارفين بسبب تكرار رؤية بعضهم بعضاً ومصافحة بعضهم بعضاً ، ولقائهم في حلقات الدرس عند العلماء ، وهكذا .

ولكن التعارف بين المسلمين ، ليس هو مجرد معرفة اسم الشخص واسم أبيه ولقبه ووظيفته فقط ، وإنما المقصود منه ما هو أهم من ذلك ، وهو تقوية أواصر الأخوة الإيمانية التي يترتب عليها العمل بكل ما يقويها من المحبة ، والتزاور والتواصل وعيادة المريض ، وإجابة الدعوة ، وإعانة المحتاج والضعيف وإفشاء السلام ، وطلاقة الوجه وطيب الكلمة ، والتواضع وقبول الحق ، والعفو والسماحة ودفع السيئة بالتي هي أحسن ، والإيثار وحسن

الظن ، ونصر المظلوم ، وستر المسلم إذا وجدت منه هفوة ، وتعليم الجاهل ، والإحسان إلى الجار ، وإكرام الضيف ، وأداء كل الحقوق إلى أهلها ، والنصح لكل مسلم .

وكذلك تجنب كل ما يضعف الأخوة الإيمانية من ظلم وحسد ، واحتقار وسخرية ، وغيبة ونميمة ، وهجر وقطيعة ، وفعل ما يثير الشك والقلق عند أخيه المسلم ، ومنافسة على بعض أمور الدنيا التي قد شرع فيها ، كالبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، والغش والكذب.

ولقد كانت هذه المعاني العظيمة موجودة في أعلى صورها عندما كان المسجد موجوداً في أعلى صورة له ، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين ، وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم أول أخوة وجدت على ظهر الأرض ، وهي أخوة المهاجرين والأنصار الذين أظلهم مسجده الشريف وربطت أخوتهم الشهادتان ، ووحدتهم راية الجهاد في سبيل الله.

ج : تخريج الأكفاء القائمين بأمور الأمة :

إن المسجد الذي يؤسس على تقوى ورضوان من الله ، يقوم تعليمه وتربيته أساساً على الإيمان وقصد رضوان الله ، فهو لذلك يخرج المؤمن العالم القوي الأمين ، الذي إذا تخصص في أي مجال من مجالات الحياة ، لم يفقد تلك الصفات التي تجعله أهلاً لأن يتولى أي وظيفة تخصص فيها ، وأن يقوم بها خير قيام ، لوجود أسس صفات الكفاءة ، وهي : الإيمان ، والتقوى والقوة والأمانة والفقه في الدين ، فهو بعد ذلك قد يكون أهلاً لولاية المسلمين العامة ، أو إمارة خاصة ، أو قضاء ، أو إفتاء أو قيادة جيش ، فإنه مهما كان موقعه سيكون كفؤاً وسيقوم بعمله خير قيام ، وسيأمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

د : انتشار الدعوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي وخارجه :

إن علماء المساجد وطلابها لا يستقر لهم قرار ، ولا تطمئن نفوسهم إلا إذا بلغوا ما تعلموه من دين الله إلى الناس .

فقد انتشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهده دعاة إلى الله في الجزيرة وأطرافها ، ومنهم أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم.

هـ : القضاء على الفواحش أو انحسارها في المجتمع الإسلامي :

عندما يكون للمسجد مكانته في المجتمع الإسلامي ، لا يتخلف المسلمون عن حضور صلاة الجماعة ، يتمكن الإيمان من قلوبهم فيحبون الإيمان ويحبون الله ورسوله ، والعمل الصالح ، ويكرهون الكفر والفسوق والعصيان ، وتنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر والبغي ويصبحون لا يريدون إلا ما يريده الله منهم شرعاً.

لذلك نقول: إن من أهم آثار المسجد في المجتمع هو القضاء على الفاحشة أو التقليل منها.

و : اقتداء الجيل اللاحق بالجيل السابق في الصلاح :

وقد أمر الله سبحانه وتعالى خاتم أنبيائه ورسله أن يقتدي بأجيال الأنبياء السابقين ، فقال تعالى بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً من إبراهيم عليه السلام ونوح إلى لوط عليهم السلام جميعاً ، قال: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴾ { الأنعام: ٨٨-٩٠}.

وأكد سبحانه لهذه الأمة أن رسولها الذي أمره أن يقتدي بأخوانه الرسل قبله هو القدوة الحسنة لمن آمن بالله واليوم الآخر ، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ { الأحزاب : ٢١ }.

ولقد اقتدى به أصحابه رضي الله عنهم: كبارهم وصغارهم وكانوا هم قدوة لمن بعدهم ، فكان الواحد منهم يسمع قوله أو يرى فعله فيقتدي به ، وينقل تلك القدوة لمن جاء من التابعين .

ز : اعتزاز المسلمين بدينهم :

إن المسلمين الذين يجلون بيوت الله ، كما أذن الله ويعظمون الله تعالى كما عظم نفسه ، ويوحدونه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ويتبعون نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويقومون بالعمل الصالح ، تلبية لنداء المؤذن ، ومن ذلك المواظبة على حضور صلاة الجماعة ، وعندما يأخذون الفقه في دينهم على علماء المساجد ، ويتشاورون في شئونهم العامة في المساجد ، ويكون ولي أمرهم قدوة لهم في كل ذلك فيكون المسجد عنده هو منطلق السياسة العامة والدعوة إلى الجهاد ، وعقد الرايات وتجهيز الكتائب وتخريج الأكفاء ، إنهم عند ذلك يكونون في غاية الاعتزاز بدينهم وفي غاية التوكل على ربهم. { قادري ، ١٤٠٧هـ ، ص١٠٩-١٢١ }.

المحور الرابع

وظائف المسجد في صدر الإسلام

١- المسجد منطلق الإيمان بالله والعمل الصالح :

المسجد هو مهد الانطلاقة الكبرى ، التي شهدها تاريخ الإنسان ، فلم يعرف في تاريخ أي حضارة ولا في سجل أي ثقافة لها من التأثير ما للمسجد من تأثير لهذه الأمة المحمدية . فعلى مآذنه يرتفع نداء الدعوة إلى الإيمان بالله ، وفي صحنه يعم الإيمان ويؤدى العمل الصالح ، ومن على منبره يعلم الإيمان ويدعى إلى العمل الصالح ، ومن المسجد ينطلق صوت المؤذن في كل حي من أحياء المسلمين ، وكل ما يعمل في المسجد من الخير إنما هو استجابة لنداء الحق الذي اشتملت عليه ألفاظ الآذان .

ومن ذلك ذكر الله سبحانه ، ما كان مقيداً منه بعدد ووقت ، كالذكر أدبار الصلوات من تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل ، وما كان غير مقيد وهو الذكر المطلق الذي شرع الله الإكثار منه ، ومنه التهليل والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها .

ومن ذلك الاعتكاف المشروع في المسجد ، وبخاصة في العشر الأخيرة من شهر رمضان ، كما كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ، وفعله أصحابه من بعده .

ومن ذلك الصلاة على الجنائز التي اعتادها المسلمون ، لكثرة المصلين ، ويرجى من الخير للميت مع وجود الكثرة ما لا يرجى مع القلة في الغالب .

وهكذا كان المسجد منبراً للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح ، كما كان تطبيقاً عملياً لتلك الدعوة السامية من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة ، وإن مرت فترات ضعف فيها عمل الخير العام في المسجد ، لبعد الناس عن تطبيق هدى المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الجهاد ويشاورهم في ذلك في مسجده ، ويلبس سلاحه ويخرج إلى أصحابه في مسجده ، وكان ينطلق بهم للجهاد من مسجده ، كما كان ينطلق بهم للحج منه.

٢- المسجد جامعة للتعليم وتخريج الأكفاء لإقامة الدولة الإسلامية :

جاء في الأثر لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. لقد كان سلفنا الصالح يعتبر المسجد مركز إشعاع وهداية لجميع شؤون الحياة. فهو مرب للروح ، ومغذ للعقل ، ومزود للفكر ، وكذلك مرب للجسد. { الوشلي ، ١٤٠٨هـ ، ص٨٥ }. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أغلب الأحكام في المسجد فكان بحق جامعة للتعليم ، فالصحابة رضوان الله عليهم الذين خلفوه من بعده على أمانته ، أقاموا دولة الإسلام قوية ، وكانوا أكفأ الناس لقيادة البشرية ، إنما تخرجوا على يديه في مسجده وكانت كل تحركاتهم للدعوة والجهاد من ذلك المسجد العظيم ، فكانوا يعلمون الناس فتخرج جيل التابعين على أيديهم من المساجد. { الأهدل ، ١٤١١هـ ، ص٧٦ } فالخلفاء الراشدون رضي الله عنهم اتخذوا نفس المنهج الذي اختطه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلاميذ مدرسة النبوة يقيمون بأنفسهم حلق التعليم في المسجد النبوي بالمدينة عاصمة الإسلام.

وكانوا رضوان الله عليهم ، يرسلون علماء الصحابة وقراءهم ليعلموا الناس في كل مصر من أمصار الخلافة الإسلامية .

فقد أقام عمرو بن العاص مسجده في مصر ، فكان بحق منارة للعلم والتعليم ، وكان عبادة بحمص ، وأبو الدرداء بدمشق ، ومعاذ بفلسطين ، وعمران ابن الحصين في مجسد البصرة . وقد تخرج على يد هؤلاء في المساجد التي كانوا يعلمون بها التابعين ، وعن التابعين تلقى تابعيهم وهكذا في بقية القرون المفضلة ، الذين ملئوا الدنيا علماً وأصبغوه خلقاً وحلماً ، وعمروها بمقتضى ما أراد الله بها من العمارة. { الوشلى ، ١٤٠٨هـ /٢ ، ص٤٢ } كل ذلك كان تأثير المسجد والذي يعتبر بحق جامعة كبرى للتعليم.

٣- المسجد دار للفتوى ومحكمة للقضاء :

كان المسلم إذا أشكل عليه أي أمر ذهب إلى المسجد وسأل أهل العلم عما أشكل عليه ، فهو المقر الدائم لدار الإفتاء . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس لأصحابه في المسجد ، فيسألونه ، ويجيبهم .

قال البخاري رحمه الله: باب من قضى ، ولاعن في المسجد ، ثم قال: ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد ، وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين عند المنبر ، وكان الحسن وزرارة بن أوفى يقضيان وفتواه وقضاؤه في المسجد معلومة مشهورة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه فقال: يا رسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه ، فلما شهد على نفسه أربعاً قال: (أبك جنون

) قال : لا قال : (اذهبوا به فارجموه) { البخاري ، ١٤١٥هـ ، ج١ ، كتاب الأحكام ، حديث رقم ٧١٦٧ ، ص٢٢٤ }.

وكان الصحابة رضي الله عنهم من بعده صلى الله عليه وسلم ومنهم الخلفاء الراشدون يقضون ويفتون في المساجد. { الأهدل ، ١٤١١هـ ، ص٧٩ }.

٤- المسجد دار ومأوى للمحتاجين ومساعدة الفقراء :

كان المسجد على عهده صلى الله عليه وسلم مأوى للمحتاجين ، والغرباء الذين لا يجدون مأوى ، فكان به مكان يسمى الصفة يسكن فيه من لا سكن له من الفقراء ، وكان صلى الله عليه وسلم يشركهم فيما يهدى إليه ، ويخصهم بالصدقة التي تأتيه . وكان إذا قدم عليه قوم لا مأوى لهم أنزلهم به كما روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في الصفة ، وقال عبد الرحمن بن أبي بكر : كان أصحب الصفة الفقراء) {البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب الصلاة ، ص١٥٥}.

٥- العلاج في المسجد :

كان المسجد يعتبر بمثابة دار للاستشفاء ، والمعالجة ، وما ذلك إلا لأن دواءه وعلاجه يصل مباشرة إلى القلوب فيشفيها بإذن الله ، وكثيراً ما كان المرضى يأتون إلى مسجده صلى الله عليه وسلم الذي كان مكاناً لعلاج المرضى ، وبخاصة في أيام الحروب والمعارك. {القرني ، ١٤١٢هـ ، ص١٧}.

٦- المسجد قاعدة حربية للتدريب والفروسية وإعداد الجيوش للجهاد في سبيل الله :

لم يعرف المسلمون في سابق مجدهم وعزهم مركز تخطيط حربي ولا قاعدة حربية غير المسجد ، فقد جهز الرسول صلى الله عليه وسلم الجيوش لغزواته من المسجد ، وأذن بالحرب من المسجد ، فقد أعلن عليه الصلاة والسلام معركة أحد يوم الجمعة في مسجده ، وبدأت أحداثها يوم السبت. وتكلم صلى الله عليه وسلم عن الشهداء في مؤتة من على منبره وكأنه يعيش أحداثها لحظة بلحظة. {القرني ، ١٤١٢هـ ، ص٢٨-٢٩}.

وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد أمداً لسباق الخيل .

٧- المسجد مقر لأهل الشورى والحل والعقد والبيعة العامة للخليفة :

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الأمور الخطيرة في المسجد ، ومن ذلك استشارته لأصحابه في أصحاب الإفك. كما روت عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فحمد الله وأثنى عليه فقال: (ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي ، ما علمت عليهم من سوء قط). { البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٣ ، كتاب المغازي ، حديث رقم ٤١٤١ ، ص١٢٦ }. فكانت أغلب مشوراته صلى الله عليه وسلم في المسجد ، وكذا الخلفاء الراشدين من بعده ، فلم يعرفوا موقعاً لمشوراتهم لرعيتهم إلا المسجد ، وإن كانت الوقائع لا تذكر ذلك ولكنها في الغالب لا يعرف لها موقعاً إلا المسجد. { الأهدل ، ١٤١١هـ ، ص٨٦ }.

٨- المسجد مقر استقبال الوفود والمفاوضات :

ولم يقف دور المسجد عند ذلك الحد ، بل كان أيضاً مقراً لاستقبال الوفود. فالرسول صلى الله عليه وسلم استقبل وفوده في مسجده كما وردت النصوص التي تدل على ذلك.

وقد كانت في السنة التاسعة من الهجرة بعد فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة وفراغه من تبوك. ففي هذا العام قدمت وفود العرب من كل وجه ، وكان مسجده صلى الله عليه وسلم هو مقر استقبالهم ولذا فقد عرف هذا العام (بسنة الوفود) . { الزعبي ، ١٤٠٧هـ ، ص٢٧٦-٢٧٨ }.

٩- ومن المسجد تعلن السياسة العامة للدولة :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن لأصحابه كل ما شرع الله في كتابه عز وجل ، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، من حلال ، أو حرام ، أو مباح ، أو مندوب ، أو مكروه ، وبعض ما تعلق بالآخرة وأخبار الغيب التي تقع في الدنيا أو في الآخرة .

فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه) . {مسلم (١٩٧٢م) ، ج٤ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، حديث رقم ٢٨٩١ ، ص٢٢١٧ }.

ومن على هذا المنبر أعلن أبو بكر السياسة العامة للدولة بعد توليه الخلافة من خلال خطبته التي قال فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له : (أما بعد ، أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن

أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي ، حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم ، وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله). { ابن كثير ، ١٤٠٢هـ ، ج٦ ، ص٣٠١ }.

المحور الخامس

الدور التربوي للمسجد في صدر الإسلام

كان المسجد مؤسسة تربوية للصغار والكبار وموئلاً لتلقي العلم ، فمهما تنوعت وتباينت المؤسسات التربوية الإسلامية فإن المسجد يتبوأ مكان الصدارة بين تلك المؤسسات كأول مؤسسة لها دورها البارز في التعليم والتثقيف ، وقد حفل تاريخه بأعظم ما في التراث الحضاري الإسلامي من خصائص فكرية وعلمية ودينية وقيم حضارية بهرت الشرق والغرب وما زالت تبهره حتى اليوم.

أولا : دور المسجد في تربية وتعليم الرجال :

لم يكن عجيباً أن ارتبط التعليم بالمسجد لزمن طويل ففي كل مسجد يقام كانت تقام بداخله مدرسة بل مدارس فكرية وعلمية ودينية ، وكان المسلمون على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم يؤدون في نفس المكان قبل

الصـــــلاة أو بعـــــدها شـــــعائر العلـــــم مـــــن تعلـــــيم وتعلـــــم. { السدلان ، ١٤١٥هـ ، ص٢١ }.

وقد كان المسجد أعظم معاهد الثقافة لدراسة القرآن والحديث والفقـــه واللغة وغيرها من العلوم ، وأصبح كثير من المساجد مراكز هامـــة للحركـــة العلمية ، وانصرف بعض فقراء المسلمين لطلب العلم فـــي المســـجد النبـــوي الشريف حيث بنى الرسول الصفة (وهي مكان مظلل في شمالي المسجد يأوي إليه فقراء المسلمين الذين حبسوا أنفسهم لطلب العلم).

(ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد النبوي بالمدينة لتعليم المسلمين أمور دينهم وتبصيرهم عاقبة أمرهم حتى كان مجلسه تنافساً بين الصحابة رضوان الله عليهم ، كلهم يبغي السبق إلى حضور هـــذا المجلس العلمي والظفر بالإنصات إلى الدروس النبوية ، وكان عليه الســـلام إذا صلى الصبح انصرف إلى موضع الاسطوانة حيث يتحلق حوله أصحابه حلقاً بعضها دون بعض وكان يحدثهم إلى طلوع الشمس. { بحوث مؤتمر رســـالة المسجد ، ١٣٩٥هـ ، ص٢٤٢ }.

(وكان من الطبيعي بالنسبة لتطور مفهوم العلم في الإسلام أن تنشأ البذرة الأولى دينية محضة ، فالناس بحاجة إلى تفهم الدين الجديد ومعرفـــة قواعده وأصوله ، وفهم أهدافه ومراميه ، ومن ثم فالمكان المناسب لذلك هو المسجد) { علي ، ١٩٧٨م ، ص١٣ }.

ومن هنا نرى أن المسجد لم يكن للصلاة فقط بل كان إلى جانب أداء الصلاة مكاناً للتعليم ومدارسة القرآن الكريم وتفهم معانيه على يدي رســـول الله عليه السلام وأصحابه الذين تعاهدوا هذا العمل النبيل من بعده وحرصوا

على استمرار رسالة المسجد العلمية ابتغاء وجه الله وإتباعا لسنة الرسول المعلم والمربي صلى الله عليه وسلم .

ولقد كان من الطبيعي أن يكون المسجد هو مقر تعليم الناس قراءة القرآن والحديث الشريف والتفسير وأوامر الدين وما ينوب المسلمين نظراً لمكانة المسجد السامية التي أوجدها الإسلام. لذا فإنه لا يكاد يوجد مسجد يخلو من حلقات العلم والتعليم.

(وفي صحيفة همام بن منيه: أن عدد المساجد التي بنيت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع مساجد ، وأن أكثرها اتخذ مدارس للتعليم) {محمود ، د.ت ، ص٤٥ }.

ويبدو لنا أن طلاب هذه الحلقات العلمية هم خليط من أفراد المجتمع الإسلامي لا طبقية بينهم ولا تفاضل ، لا يرد أحد عن الاستماع إلى ما يدور أو يدرس ، ولا يمنع أحد عن المناقشة وإبداء الرأي والاستفسار عما خفي أو جهل.

(فعن مسلم الخولاني قال أتيت مسجد أهل حمص فإذا فيه حلقة كهول من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا رجل فيهم أكحل العينين براق الثنايا ، فإذا اختلفوا في شيء ردوه إليه، فقلت لجليس لي: من هذا ؟ قال هذا معاذ بن جبل). (الشيباني، ١٤١١هـ، ج٣، ص٤١٦).

وقد أخرج البخاري في التاريخ والبيهقي في المدخل من حديث (محمد بن عمارة بن حزم أنه قعد في المسجد في مجلس فيه مشيخة من الصحابة بضعة عشر رجلاً فجعل أبو هريرة يحدثهم عن رسول الله بالحديث فلا يعرفه بعضهم فيراجعون فيه حتى يعرفوه ثم يحدثهم بالحديث كذلك حتى

فعل مراراً ، فعرفت يومئذٍ أن أبا هريرة أحفظ الناس) (العسقلاني ، ١٣٧٩هـ ، ج١ ، ص٢١٤).

وهذا يدل على أسلوب الرجال في ذلك العصر في التعليم فهم يحرصون على المراجعة الدائمة حتى الإتقان ثم ينتقلون إلى الأحاديث التالية وهذا التدرج في طلب العلم مبدأ تربوي يتيح للمتعلم إتقان ما يتعلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال (كنا عند باب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار نتذاكر الفضائل فارتفعت أصواتنا ، فخرج علينا رسول الله فقال : فيم أنتم ؟ فقلنا نتذاكر الفضائل ، قال: فلا تقدموا على أبي بكر أحداً فإنه أفضلكم في الدنيا والآخرة) (الطبري ، ١٩٩٦م ، ج٢ ، ص٢٩).

وهذا التوجيه النبوي لأصحابه فيه من الأمور التربوية ما فيه ، فهو يوجههم إلى الطريق السليم وإلى إنزال كل شخص منزلته التي تليق به.

(وأي جامعة شعبية كالمسجد تسع الجميع في رحابها ، في الليل والنهار في الصيف والشتاء ، ولا ترد طالباً شيخاً كان أو صبياً ، ولا تشترط رسوماً ولا تأميناً ، ولا تضع قيود ولا عراقيل) (القرضاوي ، ١٣٩٣هـ ، ص٢٢٦).

ولم تكن مدرسة المسجد قاصرة على تعليم الفقه وتفسير القرآن الكريم ورواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشرحها وتدارس بعض العلوم الإسلامية ، بل درست فيه العلوم والمعارف الأخرى كعلم الكلام وغيره.

وفي بعض حلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد تتاح الفرصة للمتعلمين لطرح ما يريدون من أسئلة في أمور دينهم المختلفة سواء في التوحيد أو الفقه أو الحديث أو علوم القرآن وغير ذلك ، ففي حديث حذيفة قال (دخلنا حلقة في المسجد كان الناس فيها يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر كيما أعرفه فاتقيه وعلمت أن الخير لا يفوتني ، قلت يا رسول الله هل بعد الخير من شر ؟ قال يا حذيفة تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ، فأعدت القول عليه ثلاثاً، فقال في الثالثة فتنة واختلاف) (النسائي، ١٤١١هـ، ج٥ ، ص١٨) وهذا النص يبين لنا جانب تربوي هام وهو ضرورة إتاحة الفرصة للمتعلم ليناقش ويسأل ويستفسر عما يشاء .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلم المكتب السورة من القرآن الولدان) (العسقلاني ، ١٣٨٤هـ ، ج١ ، ص٢٦٥) وهذا يدل على أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم المتميز في تعليم أصحابه حتى يتقنوا ما تعلموه بأسلوب سهل ميسر .

وغني عن البيان ذلك الدور الكبير الذي قام به المسجد منذ عهد رسول صلى الله عليه وسلم في سبيل خدمة العلم والمتعلمين من أبناء الأمة الإسلامية مما يجعل الإنسان المسلم يفخر به خاصة في الوقت الذي لم تكن فيه مدارس نظامية ولم يكن للدولة دخل في العلوم والمعارف التي تدرس – جزى الله أهل العلم من علماء وفقهاء وأئمة خير الجزاء لما قاموا به من عمل جليل دونما يسألون عن ذلك من الناس أجراً أو من الدولة مرتباً .

وهكذا تكاثرت حلقات الدراسة بالمسجد ، وتعددت مجالس العلم فيه ، وأصبح بيئة تربوية مفتوحة ، غنية بكل أنواع الخبرات والمعارف اللازمة لحياة الفرد والمجتمع.

وهذا نص يدل على حرص كثير من الصحابة على تعلم أمور الدين الإسلامي والعمل بها كون ذلك هو الميراث الذي خلفه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن طلب العلم الشرعي أهم من جمع المال والبيع والشراء مع أن الإسلام لم يحرم ذلك.

(فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: يا أهل السوق ما أعجزكم قالوا وما ذاك يا أبا هريرة ، قال: ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم هنا ، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه ، قالوا وأين هو ، قال: في المسجد ، فخرجوا سراعاً ، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم ، ما لكم قالوا يا أبا هريرة لقد أتينا فدخلنا فلم نر فيه شيئاً يقسم ، فقال لهم أبو هريرة وما رأيتم في المسجد أحداً ؟ قالوا بلى رأينا قوماً يصلون ، وقوماً يقرأون القرآن ، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام ، فقال لهم أبو هريرة ، ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم) (الهيثمي ، ١٤٠٧هـ ، ج١ ، ص١٢٤).

والمواقف كثيرة التي تدل على حرص السلف على طلب العلم في المساجد والتنافس في ذلك وفي ذكر الله تعالى فقد (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم فقالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن علينا ، فقال آلله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال : أما إني لا أستحلفكم تهمة لكم ولكن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أنه يباهي بكم الملائكة) (الشيباني، ١٤١١هـ ، ج١ ، ص٣٨٣).

فالمسجد كما يتضح مما سبق لم يكن مكاناً مخصصاً للصلاة فقط ، بل كان مدرسة علمية للتربية الإسلامية ، والعلوم المفيدة للمجتمع ، ومعهداً للثقافة ، وهو إلى جانب اهتمام التعليم فيه ، بالعلوم الدينية ، إلا أنه لم يقتصر على ذلك بل شمل فروعاً كثيرة من مختلف العلوم.

ثانيا : دور المسجد في تربية وتعليم المرأة :

لم يقتصر التعليم في هذه الجامعة على الرجال فقط بل كان للنساء نصيب في التعليم ، فكان المعلم الأول صلى الله عليه وسلم يهتم بتعليمهن حيث خصهن ببعض مجالسه ومواعظه. { أبو غدة ، ١٤١٧هـ ، ص٢٠٨ } وكن حريصات لحضور مسجده صلى الله عليه وسلم كما طلبن منه تخصيص يوم لهن فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : (ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاب من النار) فقالت امرأة منهن واثنين قال: (واثنين). { البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب المعلم ، حديث رقم ١٠١، ص٥٩ }.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعظ النساء ويعلمهن في كثير من المناسبات ، ومنها في صلاة العيد كما في الحديث التالي :

عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد. فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، بغير أذان ولا إقامة . ثم قام متوكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم. ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال (تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم) فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت: لم يا رسول الله قال (لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير) قال: فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطهن وخواتمهن. (مسلم (١٤١٢هـ) ، ج٢ ، كتاب صلاة العيدين ، حديث رقم ٨٨٥).

ونرى من سياق الحديث السابق أن الرسول يوجه النساء إلى عدم الوقوع في الأخطاء التي عادة ما تقع فيها النساء رحمة منه صلى الله عليه وسلم بهن من العذاب.

وهو إلى جانب اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتعليم نساء المسلمين بصفة عامة اهتم بتعليم نسائه وبناته حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا عبد الله بن وهب ، قال: أخبرني عمرو ، أن سالماً القراء حدثه أن عبد الحميد مولى بني هاشم حدثه أن أمه حدثته ، وكانت تخدم بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم ، أن ابنة النبي حدثتها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمها فيقول (قولي حين تصبحين: سبحان الله وبحمده ، لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسي ، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح) (أبو داود (١٤٠٨هـ) ، ج٤ ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٥٠٧٥).

هذه توجيهاته صلى الله عليه وسلم لابنته ولكل أبناء وبنات المسلمين في أهمية ترديد أذكار الصباح والمساء كونها حفظاً للمسلمين من شياطين الإنس والجن.

وهو صلى الله عليه وسلم يعلم إحدى الصحابيات رضي الله عنهن أجمعين ما يجب على المسلم أن يقوله عندما يصاب بكرب فعن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب، أو في الكرب، الله ربي لاأشرك به شيئاً) (أبو داود (١٤٠٨هـ) ، ج٢ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٥٢٥).

بل إنه كان صلى الله عليه وسلم يستفيد من المواقف الحية التي يرى الصحابيات عليها ، ومنها موقفه صلى الله عليه وسلم مع هذه المرأة وأسلوبه المثالي في التعليم دون زجر .

عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ، عن أبيها أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فقال (أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل) فقال (سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك). (أبو داود (١٤٠٨هـ) ، ج٢ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ١٥٠٠).

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشجع على تعليم النساء ما يفيدهن في الحياة الدنيا والآخرة، بل كان يوجه بعضهن من المتعلمات بتعليم الأخريات.

فعن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي (ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمنيها الكتاب) (أبو داود (١٤٠٨هـ) ، ج٤ ، كتاب الطب ، حديث رقم ٣٨٨٧).

وقد بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم فضل من يقوم بتعليم الأمة فضلاً عن تعليم الزوجات والبنات، وأن من يفعل ذلك له أجران.

حدثنا المحاربي قال حدثنا صالح بن حيان قال قال عامر الشعبي حدثني أبو بردة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لهم أجران ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ،

والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران) (البخاري (د.ت) ، ج١ ، كتاب العلم ، حديث رقم ٣٨) وهذا هو كل ما تطمح إليه المؤسسات التربوية في عصرنا الحاضر فكل همها هو التعليم والتربية وإذا حققت ذلك فقد حققت كامل النجاح.

وفي النصوص التالية التي سوف نوردها يتبين لنا حرص الصحابيات على تعلم العلم الشرعي ، فهن يحرصن على معرفة ما أشكل عليهن من أمور دينهن دون تردد أو حرج ، حتى في أمور النساء الخاصة ، لأن الصحابيات رضي الله عنهن أجمعين أدركن المغزى الحقيقي للحياة الدنيا وأنها دار زائلة فأصبح همهن أن يعرفن أمور دينهن فيعبدن الله على بصيرة

حدثنا الحسن بن علي الخلال ، حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج ، أخبرنا عبيد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت أن محمد بن ثابت أخبره أن أم كرز أخبرته أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال: عن الغلام شاتان وعن الأنثى واحدة ، ولا يضركم ذكراناً كن أم إناثاً) (الترمذي (د.ت) ج٤ ، كتاب الأضاحي ، حديث رقم ١٥١٦).

وعن عائشة قالت: جاءت فاطمة بنت أبي حبيش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني امرأة استحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة ، قال: (إنما ذلك عرق وليست بالحيضة فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي) (النسائي (١٤١٦هـ) ج١ ، كتاب الحيض والاستحاضة ، حديث رقم ٣٥٩) فها هي فاطمة بنت أبي حبيش لا تتردد أن تتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم حتى في الأمور الخاصة جداً بالنساء.

وعن أسماء بنت أبي بكر أن امرأة استفتت النبي صلى الله عليه وسلم عن دم الحيض يصيب الثوب فقال (حتيه ثم اقرصيه بالماء ثم انضحيه وصلي فيه) (النسائي (١٤١٦هـ) ج١ ، كتاب الطهارة ، حديث رقم ٢٩٣).

ثم هاهي أسماء رضي الله عنها تسأل النبي صلى الله عليه وسلم دون أن تجد في نفسها حرج لأن همها أن تسير على الطريق الصحيح. فعن عائشة قالت: دخلت أسماء على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ، كيف تغتسل إحدانا إذا طهرت من الحيض ، قال (تأخذ سدرها وماءها فتتوضأ ثم تغسل رأسها وتدلكه حتى يبلغ الماء أصول شعرها ، ثم تفيض على جسدها ، ثم تأخذ فرصتها فتطهر بها) (أبو داود (١٤٠٨هـ)ج١، كتاب الطهارة، حديث رقم ٣١٤).

وفي الحديث التالي تسأل أم سلمة عن الملابس التي يجوز للمرأة أن تصلي بها. فعن أم سلمة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار،قال (إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها) (ابو داود (١٤٠٨هـ) ، ج١، كتاب الصلاة، حديث رقم ٦٤٠).

وعن حميد بن نافع عن زينب أن امرأة سألت أم سلمة وأم حبيبة أتكتحل في عدتها من وفاة زوجها فقالت: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال (قد كانت إحداكن في الجاهلية إذا توفي عنها زوجها أقامت سنة ثم قذفت خلفها ببعرة ثم خرجت ، وإنما هي أربعة اشهر وعشراً حتى ينقضي الأجل)(النسائي (١٤١٦هـ) ، ج٦ ، كتاب الطلاق،حديث رقم ٣٥٤١).

بل أن الصحابيات كن يحرصن على أمور الخير كلها ، حتى إنهن يرغبن في الجهاد في سبيل الله ، فعن عائشة بنت طلحة قالت أخبرتني أم

المؤمنين عائشة قالت ، قلت يا رسول الله ألا نخرج فنجاهد معك فإني لا أرى عملاً في القرآن أفضل من الجهاد قال (لا ولكن أحسن الجهاد وأجمله حج البيت حج مبرور) (النسائي (١٤١٦هـ) ، ج٥ ، كتاب مناسك الحج ، حديث رقم ٢٦٢٨).

ولقد برز كثير من النساء الصحابيات رضي الله عنهن لعل من أبرزهن زوج النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، فكانت من أفقه النساء بل تعتبر من فقهاء الصحابة، يقول عنها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً). { الترمذي، ج٥، كتاب المناقب ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ، حديث رقم ٣٨٨٣ ، ص٧٠٥ } ومن المتعلمات كذلك أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم أنس بن مالك رضي الله عنها . { الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢١٧ } .

بل إنه بعد أن حصلت الصحابيات على التعليم الكافي أصبحن هن مصدراً لتعليم الآخرين من الرجال والنساء ، فها هم الرجال يسألون ويتعلمون من حفصة بنت عبدالرحمن بن أبي بكر.

حدثنا يحي بن خلف البصري ، حدثنا بشر بن المفضل ، أخبرنا عبد الله بن عثمان ، عن يوسف بن ماهك أنهم دخلوا على حفصة بنت عبد الرحمن فسألوها عن العقيقة فأخبرتهم أن عائشة أخبرتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم عن الغلام شاتان متكافئتان وعن الجارية شاه. (الترمذي (د.ت) ج٤ ، كتاب الأضاحي ، حديث رقم ١٥١٣).

وهاهو معاوية بن أبي سفيان يسأل زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن خصوصيات ولكنها من الدين.

عن معاوية بن أبي سفيان أنه سأل أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الثوب الذي كان يجامع فيه. قالت: نعم إذا لم ير فيه أذى (النسائي (١٤١٦هـ) ج١، كتاب الطهارة ، حديث رقم ٢٩٤).

وهاهو جانب الإقرار هنا يتضح ، فعن معاذة أن امرأة سألت عائشة قالت: تختضب الحائض ؟ فقالت: قد كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نختضب . فلم يكن ينهانا عنه. (ابن ماجة (١٤٠٨هـ) ج١ ، كتاب الطهارة ، حديث رقم ٦٥٦).

بل إن بعض النساء السابقات هن مصدر العلم والمعرفة للرجال ، حيث كانوا يأخذون عنهن.

فعن عون بن عبد الله قال: كنا نجلس إلى أم الدرداء فنذكر الله عندها ، فقالوا لعلنا قد أمللناك ، قالت: تزعمون أنكم قد أمللتموني فقد طلبت العبادة في كل شيء ، فما وجدت أشفى لصدري ولا أحرى أن أصيب به الذي أريد من مجالس الذكر) (الشافعي ، ١٩٩٥م ، ج٧٠ ، ص١٥٧).

هذا النص السابق يدل على إقبال النساء على العلم بنهم شديد ، حتى أنه أصبح المفضل بالنسبة لهن.

ويعتبر تعليم النساء في المسجد النبوي بمثابة التعليم النظامي للمرأة والتي لها خصوصيتها في التعليم بعيداً عن الاختلاط فقد اتخذن لهن موقعاً معيناً مقراً للتعليم.

ثالثا : دور المسجد في تربية وتعليم الاطفال :

من خلال استعراض النصوص التي تم جمعها وهي كثيرة لم يجد الباحث نصاً واحداً يدل على أن تعليم السلف للأطفال يتم كما هو حاصل في وقتنا الحاضر ، من تعليم مجموعات الأطفال لوحدهم في المسجد ، وما وقف عليه الباحث من نصوص تدل على أن تعليم الأطفال يتم جنباً إلى جنب مع تعليم الكبار ، وقد يكون في ذلك من الجوانب التربوية الكثير ، فإن جلوس الطفل وهو يتعلم إلى جنب الرجل المتعلم أيضاً يكسبه أشياء كثيرة ، لعل من أهمها الثقة بالنفس والاستفادة من خبرات كبار السن في التعامل وحسن الأدب فينشأ الطفل ويصل سن العاشرة وكأنه أصبح رجلاً يثق المجتمع في حديثه ، وتوكل له مهام كبيرة داخل مجتمعه الإسلامي لعل من أبرزها مساهمة صغار السن في الجهاد في سبيل الله.

ولعلي هنا أسوق بعض النصوص التي تدل على دور المسجد في تعليم صغار السن ، ولن أطيل في ذلك حتى لا نتوسع في بحثنا هذا.

فقد كان (أبو سعيد الخدري إذا رأى الشاب قال مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أمرنا أن نحفظ لكم الحديث ، ونوسع لكم في المجلس) (الإدريسي ، د.ت ، ج٢ ، ص٣١٧) وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوصي الكبار بالأطفال وأن على كبار السن تعليمهم العلم الشرعي.

وعن عبد الله بن عمير قال (كان في هذا المكان خلف الكعبة حلقة فمر عمرو بن العاص يطوف ، فلما قضى طوافه جاء إلى الحلقة فقال: ما لي أراكم نحيتم هؤلاء الفتيان عن مجلسكم ، لا تفعلوا ، أوسعوا لهم وأدنوا

وأفهموهم الحديث ، فإنهم اليوم صغار قوم يوشك أن يكونوا كبار آخـــرين ، فقد كنا صغار قوم فأصبحنا كبار آخرين) (الجراحي ، ١٤٠٥هـــ ، ج٢ ، ص٣١) هذا الموقف النبيل لعمرو بن العاص يدل دلالة كبيرة على اهتمـــام الســـلف بالناشئة ، والنظرة الإيجابية تجاههم دون تحقير كما يفعل كثير من كبار السن في وقتنا الحاضر حتى مع أبنائهم.

وعن أنس رضي الله عنه قال (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في حلقة بالمسجد فأراد القيام ، فقام غلام فناوله نعله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أردت رضا ربك ، رضي الله عنك، قال فكان الغلام يجيء في المدينة حتى استشهد) (الأصبهاني ، ١٤٠٩هـــ ، ج١ ، ص١٩٥) وهـــذا النص يدل على أن هذا الغلام كان جالساً مع القوم في الحلقة فيتعلم ما يتعلمه الكبار دون تفرقة بين صغير وكبير وغني وفقير.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول (اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلـــى أرذل العمـــر ، أخرجه النسائي عن سعد وقال: كان يعلمهن بنية كما يعلم المكتب الغلمـــان) (القرطبي، ١٣٧٢هـ ، ج١٢ ، ص١٢) وهذا يدل أيضاً على تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم بنية الأدعية الشرعية وعلوم الدين.

وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام يحفز أصحابه ويشحذ هممهم ، ويدعو لهم ، ويتولى بالعناية والرعاية من يأنس فيه الموهبة والفطنة والذكاء ، وهي التي اجتمعت في شخص ابن عباس الصحابي الجليل رضي الله عنه حبر الأمة وفقيهها ، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع نواة رعاية الأطفال الموهوبين في الإسلام ، فعن ابن عباس رضـــي الله قـــال (

ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم علمه الكتاب) (البخاري (١٤١٥هـ) ج١ ، كتاب العلم ، حديث رقم ٧٥).

ولهذا لم يكن المسجد في صدر الإسلام مقصوراً على العبادة فقط ، بل أشمل من ذلك ، فهو كان المكان الأول للتعليم ، بل هو الجامعة الإسلامية الأولى التي ضمت بين جنباتها خير خلق الله ، وأفضل البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وسيبقى المسجد إن شاء الله إلى أن يرث الله الأرض وما عليها مكاناً للتوجيه والتربية والتعليم يقصده كل طالب علم أو طالب ثقافة.

وآخر ما نقوله في هذا الجانب أنه إذا كان المسجد في العصور الإسلامية الزاهرة أحسن حالاً منه اليوم ، كونه كان المدرسة الحقيقية التي أثرت حياة المسلمين علماً وفقهاً ، وملأت الأرض نوراً وإشعاعاً ، إلا أن المسجد لا زال له دور في تعليم الصغار في وقتنا الحاضر من خلال حلقات تحفيظ القرآن التي تعقد في كثير من مساجدنا ولله الحمد.

رابعا : سن بدء التعليم :

ليس هناك سن محدد للتعلم فمن يأنس في نفسه الكفاءة والقدرة حضر مسجد المصطفى للتعليم ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم وكذلك السلف الصالح من بعدهم يدفعون بأبنائهم حرصاً منهم على تربية أبنائهم وتنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة منذ سن مبكرة ، كما روى القسطلاني أن سفيان بن عيينة حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين وكما في فواتح الرحمات من أن الشافعي حفظ الموطأ وهو ابن خمس سنين. (الكتاني ، د.ت ، ج٢ ، ص٩٧) والمشهور عند علماء المسلمين أن ابتداء التعليم بعد سن السابعة أو في

بدايتها أخذاً من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع). (ابو داود ، ج١ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ٤٩٥) ومن المعلوم أن الأمر المقصود بالحديث هو تعليم الصلاة حتى يمكنهم أداؤها مكتملة الشروط والأركان وعلى النحو المطلوب شرعاً وهذا يدل على أن الصبي إذا بلغ سن السابعة أمكن أن يتلقى التعليم عن غيره بدون مشقة. (الوكيل،١٤٠٩هـ/١ ، ص١٦-١٧).

وقد ذكر (العربي ، ١٤١٦هـ) في كتابه أحكام القرآن قوله (وللقوم في التعليم سيرة بديعة ، وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب ، فيتعلم كتاب الله فيحفظ منه كل يوم ربع حزب أو نصفه أو حزباً) (ص٢٩١).

خامسا : أوقات التعليم :

لقد اتضح للباحث من خلال النصوص التي جمعها بتوفيق من الله أن السلف يحرصون على تلقي العلوم في مساجدهم في أوقات متعددة من النهار والليل ، ومن هذه النصوص ما يلي (أخبرنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال نعم كثيراً ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس فإذا طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم) (مسلم ، د.ت ، ج١ ، ص٤٦٣) وهذا يدل على أن الرسول كان يجلس مع أصحابه بعد صلاة الفجر أي في النهار فيتحدثون في أمور الدين وقصص السابقين.

وهنا نذكر نصاً آخر يدل على أنهم كانوا يتعلمون في الليل أيضاً على الرغم من عدم الإمكانيات التي تساعد على ذلك مثل الإضاءة ، فقد (جاء عمرو بن ميمون إلى قومه في المسجد الجامع وقد صلوا العشاء الآخرة فوجدهم يتحدثون فقال لهم ، فيم كنتم ، قالوا كنا نذكر موت عمر بن الخطاب والمصيبة به ، قال أنتم تحبون أن تبقى الدنيا ، وقد أبي الله إلا فناءها ، وإنما تفنى الدنيا بذهاب الصالحين) (الشافعي ، ١٩٩٥م ، ج٤٦ ، ص٤٢٠) .

وهذا نص ثالث يوضح أن التعليم أيضاً كان يمارس بعد صلاة الفجر (أخبرنا معمر عن الأعمش قال كان ابن مسعود جالساً بعد الصبح في حلقة بالمسجد ، فقال أنشد الله قاطع رحم إلا ما قام عنا فإنا نريد أن ندعو ربنا وإن أبواب السماء مرتجة دون قاطع الرحم) (الصنعاني ، ١٤٠٣هـ ، ج١١ ، ص١٧٤) وهذا يدل على عظم ذنب قاطع رحمه ، وأن الله لا يستجيب دعاء قاطع الرحم ، وأنه يجب على كل مسلم صلة الرحم.

وقد ذكر (الإدريسي ، د.ت) في كتابة الترتيب الإدارية أن (أصحاب الصفة كانوا نحو أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مسكن في المدينة ولا عشائر ، فكانوا في صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل ، ويرضخون النوى بالنهار ، وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى) (ص٤٧٦) فهم يتعلمون في الليل ويمارسون عملهم في النهار ، ورغم وضعهم المادي القاصر إلا أنهم لم يهملوا العلم ، على الرغم من المشقة التي أنهكت أجسادهم نهاراً.

وقد ذكر المسعودي (أن من أخلاق معاوية أنه كان إذا صلى الفجر يجلس للقاص حتى يفرغ من قصصه ، ثم كان إذا صلى العشاء يأذن للخاصة

وخاصة الخاصة ويستمر إلى نصف الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسائر ملوك الأمم وحروبها ، وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة ثم يدخل فينام) (الإدريسي ، د.ت ، ج٢ ، ص٣٤٨) فهم لا يقصرون تعليمهم على الجانب الشرعي بل يهتمون بالتاريخ وعلوم السياسة والحرب ، وأخذ العبر من قصص السابقين.

من كل ما سبق من نصوص يتضح أن التعليم كان يمارس ليلاً ونهاراً ، وفي أوقات مختلفة من الليل والنهار ، فهم يستثمرون أوقاتهم خير استثمار.

سادسا : المناهج التعليمية :

جاءت مناهج التعليم في المسجد مشتملة على جوانب مختلفة من العلوم. فعلى الرغم من التركيز على العلوم الدينية إلا أنها لم تهمل بقية العلوم والمعارف بما يفي حاجات المجتمع المدني وحل مشكلاته. (الوكيل ، ١٤٠٩هـ ، ج١ ، ص٣٧) لتلبي بذلك رسالة الإسلام في هذه الحياة ، إذ أن التعليم هو الوسيلة الذي يعد الإنسان لتحمل هذه الرسالة والتي امتن الله بها على الناس ، لتنقلهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العابد سبحانه وتعالى ، وهو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية. ويمكن تقسيم تلك العلوم والمعارف إلى قسمين مهمين :

١- علوم جديدة : وهي التي جاءت من أجل إحداث التغيير في المجتمع نحو الأفضل وكما يحب ربنا ويرضى ، مثل: القرآن الكريم ، والتوحيد ، والحديث ، والفقه ، والتفسير ، وغيرها. والهدف منها خدمة

وإرساء مبادئ الإسلام وبناء مجتمع تسوده الإلفة والمحبة في الله عز وجل بدل الفرقة والتباغض والتناحر. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٤٦).

٢- علوم كانت معروفة لدى أفراد المجتمع قبل الإسلام فهذبها الإسلام بما يلائم الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها ، فما وافق الكتاب والسنة أخذ به وترك ما عارضهما لمعارضته الفطرة وإن استحسنه بعض ذوي التفكير القاصر. ومن تلك العلوم: القراءة ، والكتابة ، والحساب ، والرياضة ، والحرف ، والصناعات ، والأنساب ، والشعر ، واللغات ، وغيرها. وبشكل عام فإن الكتاب الكريم والسنة المطهرة هما المصدران الأساسيان لشتى أنواع المعرفة. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٤٧).

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. (الجمعة: ٢)

وقد ذكر ابن نعيم في الحلية في ترجمة ابن عباس (أن طلاب العلوم لما ازدحموا عليه حتى ضاق بهم المسجد والطريق ، رتبهم في التقديم على حسب مطالبهم ولم يراع في ذلك سابقاً ، فنادى بالطالبين للقرآن وحروفه وما أرادوا منه على سائر الطالبين ، فإذا فرغوا دعا لمن طلب تفسير القرآن وتأويله فجعلهم في الرتبة الثانية ، فلما فرغوا دعا لمن طلب الحلال والحرام والفقه فجعلهم في الثالثة ، فلما فرغوا دعا لمن طلب الفرائض وعلم المواريث فجعلهم في الرابعة ، فلما فرغوا دعا لمن طلب العربية والشعر والغريب من الكلام فجعلهم في الخامسة) (الإدريسي ، د.ت ، ج٢ ، ص٣٥١). هذا النص يدل على كثير من المواد التعليمية التي كانت تدرس في صدر الإسلام ومن ذلك :

١- القرآن الكريم :

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يظل الوحي متجاوباً مع الرسول صلى الله عليه وسلم كل يوم شيئاً جديداً ويرشده ويهديه ويثبته ويزيده اطمئناناً ، ومتجاوباً مع الصحابة يربيهم ويصلح عاداتهم ويجيب عن وقائعهم ، ولا يفاجئهم بتعاليمه وتشريعاته ، فكان مظهر هذا التجاوب نزوله منجماً بحسب الحاجة ، سورة كاملة أو بعض سورة عشر آيات ، أو خمس آيات ، أو آية ، أو بعض آية ، بهذه الطريقة كان ينزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليقرأه على مكث ، ويقرأه الصحابة شيئاً بعد شيء متدرجاً مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التي تعاقبت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تولى الله سبحانه وتعالى جواب الحكمة في نزوله منجماً حيث قال عز من قائل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٢-٣٣) وقال تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: ١٠٦).

ولئن كان نزول القرآن بهذه الطريقة وفي أماكن مختلفة إلا أنه وبلا شك قد نزل بعض آياته أو سوره في مسجده صلى الله عليه وسلم جامعة الإسلام الأولى ، وهو أهم المواد التعليمية التي تدرس في تلك الجامعة ، فلقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته على تعلمه وتعليمه وأمرهم بقراءته والتمعن في آياته والعمل بما جاءت به ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه). (مسلم (١٩٧٢م) ، ج١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، حديث رقم ٨٠٤).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يتولى تعليم القرآن لأصحابه بنفسه فيفسر لهم المعنى ويوضح لهم المبهم ويبين لهم ما أشكل عليهم .

ليس هذا فحسب بل أنه صلى الله عليه وسلم كلف من يعلم القرآن للصحابة في عهده من أنس فيه الكفاية والقدرة من بعض الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم أجمعين من أمثال: مصعب بن عمير ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وغيرهم من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال (جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يبعث معهم رجالاً يعلمونهم القرآن ، فبعث معهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء يقرأون القرآن ويتدارسونه في المسجد). (الإدريسي ، د.ت ، ج١ ، ص٤٧٧).

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحفز أصحابه وأبناء الأمة من بعد على تلاوة كتاب الله لما في ذلك من الأجر والمثوبة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده) (القرطبي ، ١٣٧٢هـ ، ج١ ، ص٨).

٢- علم القراءات :

كانت البذرة الأولى لهذا العلم والذي انتشر في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة موجودة في هذه الجامعة النبوية ، بداية من عهده صلى الله عليه وسلم ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أقرأني جبريل القرآن على

حرف فراجعته ثم لم أزل أستزيده فيزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٤ ، كتاب فضائل القرآن ، حديث رقم ٤٩٩١).

٣- علم التفسير :

من أهم المواد التعليمية التي كانت تدرس في هذه الجامعة العريقة كيف لا وهو تفسير آيات الذكر الحكيم ، فقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام يعلم أصحابه بنفسه يبين لهم معاني الآيات وما أشكل فهمه عليهم ، والمتتبع لمنهجه صلى الله عليه وسلم في تعليم هذه المادة أنه كان يفسر كل آية نزلت ابتداءً من أجل أن يفهموا القرآن الكريم ويتذوقوا أساليبه ويفهموا معانيه ، وبذلك استطاعوا أن يمارسوا تعليمه ، فعن عبد الملك بن عمير عن نافع بن عاصم قال (إني في حلقة بالمسجد فيها عبد الله بن عمر ، فقرأ رجل ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ قال تدرون من هو، فقال بعضهم هو صيفي بن الراهب، وقال بعضهم هو بلعم رجل من بني إسرائيل ، فقال: لا فقالوا: من هو قال: أمية بن أبي الصلت) (الرازي ، د.ت ، ج٥ ، ص١٦١٦). وممن برز منهم رضي الله عنهم علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وأبي بن كعب ، وعائشة ، وغيرهم . (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٥٣).

٤- علم التوحيد :

وعلى أساس التوحيد جاء الإسلام منادياً ، وهو دعوة الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى هذا قامت دولة الإسلام في المدينة ونزلت آيات الكتاب الكريم داعية إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، وكانت توجيهات المصطفى صلى الله عليه وسلم تدور حوله ، فجهز

الجيوش لإعلاء كلمة الله ومؤكداً لهم صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى التوحيد قبل الجهاد. (الأنصاري ، ١٤١٤هـ ، ص١٢٨-١٢٩) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إلى المسجد فوجد أصحابه يتذاكرون فنون العلم ، فأول حلقة وقف عليها وجدهم يقرأون القرآن فقال بهذا أرسلني ربي ، ثم قام إلى الثانية فوجدهم يتكلمون في الحلال والحرام ولم يقل شيئاً ، ثم قام إلى الثالثة فوجدهم يذكرون توحيد الله عز وجل ونفي الأشباه والأمثال عنه ، فقال بهذا أمرني ربي ، قال جابر لأن التوحيد معرفة الله عز وجل ومن لا يعرف توحيد الله فليس بمؤمن) (البصري ، ١٤١٥هـ ، ج١ ، ص٣٢) ولذلك كان أهم المواد التي كانت محل اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو توحيد الله بأنواعه الثلاثة المشهورة:

١- توحيد الألوهية. ٢- توحيد الربوبية . ٣- توحيد الأسماء والصفات.

٥- مقارنة الأديان :

برز هذا العلم في عهده صلى الله عليه وسلم وبالتحديد في مسجده ، فالمدينة النبوية كان بها اليهود وكان بها بعض النصارى والوثنيين وكانت تأتيه الوفود وخاطب الملوك وأرسل الرسل ، وهو علم كبير الفائدة ، إذ يشمل الحديث فيه قضايا هامة مثل الألوهية ، وقضية النبوة ، وقضية الكتاب ، وقضية البعث والنشور ، وقضية الحساب ، وغيرها ، وتبرز جذور هذا العلم في قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥) وهو علم كبير الفائدة للإسلام إذ لم يكن موجوداً قبله ، فقد ظهر في عهده صلى الله عليه وسلم حماية المعاهدين والوفاء بحقوقهم ما وفوا بالعهود . وفي السنة النبوية وسيرة المصطفى مواقف كثيرة تشير إلى اهتمامه صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من العلوم ، منها المناقشات الواسعة التي دارت بينه وبين

اليهود والنصارى كما حدث مع نصارى نجران ، ويهود المدينة وقد دارت بعض هذه المناقشات في مسجده صلى الله عليه وسلم حيث كان يستقبل الوفود هناك. (المبار كفوري ، ١٤١٦هـ ، ص٤٥٠) فكان من ثمرات هذا العلم دخول كثير من أحبار اليهود وقادتهم في الإسلام وكذلك النصارى ، حيث تؤكد كثير من كتب السير دخول الكثير من نصارى نجران الإسلام. وذلك بعد تلك المناقشات. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٥٥-٢٥٨).

فعن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يلاعناه ، قال: فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل ، فو الله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين) فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح) فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هذا أمين هذه الأمة). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٣ ، كتاب المغازي ، حديث رقم ٤٣٨٠) ويبلغ وفد نصارى نجران قرابة ستون رجلاً ، وقد دارت مناقشات بين رؤساء الوفد وبين النبي صلى الله عليه وسلم حتى سألوه في نهاية المطاف ، عما يقول في عيسى عليه السلام ، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾. (آل عمران: الآيات ٥٩-٦١).

٦- الحديث الشريف :

يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم لأنه قول أو فعل أو تقرير المصطفى صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (النجم: ٣).

والأحاديث في بيان شرف هذا العلم أكثر من أن تحصى ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع) (الترمذي ، ج٥ ، كتاب العلم ، حديث رقم ٢٦٥٦) ومن هنا كان الصحابة رضوان الله عليهم يهتمون بحضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم التعليمية ويحفظون ما يسمعونه من أحاديث كل على قدر ما أتاه الله من نصيب في هذا العلم ، ومن أبرز الصحابة في حفظ الحديث أبو هريرة رضي الله عنه وكان البعض منهم يدونه كتابة مثل : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٥٨). وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم أولى الصحابة رضي الله عنهم هذا العلم عنايتهم الفائقة ، فكان منهم المقل ليس لعدم إلمامه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنما خوفه من الوقوع في المحذور ، فقد روي عن عبد الله بن الزبير أنه قال لأبيه : إنما لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان فقال: (أما إني لم أفارقه ولكن سمعته يقول: من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب العلم ، حديث رقم ١٠٧).

وكان أنس بن مالك يتبع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (أو كما قال) حذراً من الوقوع في الكذب عليه. ومن هنا يتضح أن ما صنعه بعض الصحابة رضوان الله عليهم في الإقلال من الرواية إنما كان خوف الوقوع في خطأ لم يقصده ، وفي المقابل كان من الصحابة المكثرين في الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم خوفاً من كتمان العلم منهم أبو هريرة رضي الله عنه ، ومنهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فقد كان

يطلب الحديث عند كبار الصحابة ويتحمل في ذلك عناءً ومشـــقة. (الســباعي ، ١٤٠٥هـــ ، ص٦٢-٦٣) ولهذا كان مسجد المصطفى أحــد مــدارس الحــديث المشهورة ، ولقد وجد علم الحديث عناية فائقة ليس من الصحابة رضوان الله عليهم فحسب ، بل حتى من التابعين وأتباع التابعين ، فوجد منهم تمحيصــاً ودقة في معرفة صحيح الحديث من ضعيفه ، والذود عما دخل فيه مما ليس منه ما لم يجده علم آخر ، واتبعوا في ذلك طرقاً علمية دقيقة لم يسبقهم لهــا أحد. ومن ثمار هذا الجهد أن تفرع هذا العلم إلى فرعين رئيسيين هما:

١- علم الحديث رواية: وهو العلم الذي يقوم على النقــل المحــرر الدقيق لكل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قــول أو فعــل أو تقرير أو صفة.

٢- علم الحديث دراية: وهو مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد. (الصــالح ، ١٩٨١م ، ص١٠٧) ولهذا كان من أهم المواد التي تدرس في الجامعة النبوية بعد القرآن الكريم. فهو المصدر الثاني بعد كتاب الله العزيز فقد تأتي السنة مفسرة للقرآن الكريم مفصلة له أو مبينة لمجمل أو زيادة عليه.

٧- الفقه :

نشأ هذا العلم في عهده صلى الله عليه وسلم لدراســة القــرآن الكــريم والحديث الشريف ، واستنباط أدلة الأحكام منهما ، فهما مصدرا التشريع ومــا الفقه إلا استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية فمعرفة الدليل الشــرعي واستنباط الأحكام منه هو مجال الفقه.(زيدان،١٣٨٨هـــ،ص٦٣)

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تحصيل العلم والحرص عليه ، فعن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) رواه البخاري.

والرسول صلى الله عليه وسلم شجع على التفقه في الدين ؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده ، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه ، فقال: كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون العلم ويعلمون الجاهل فهم أفضل وإنما بعثت معلماً ثم جلس معهم) (البزار ، ١٤٠٩هـ ، ج٦ ، ص٤٢٨).

ونص آخر يدل على مدى اهتمام السلف بتعلم الفقه في المسجد ، فعن ابن عباس قال (كنت في المسجد مع أمير المؤمنين عمر نتذاكر السهو في الصلاة، فجاء عبد الرحمن بن عوف ، فقال ألا أخبركم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: إذا شككت في النقصان فصل حتى تشك في الزيادة) (الدارقطني ، ١٣٨٦هـ ، ج١ ، ص٣٧٧).

٨- القراءة والكتابة :

احتلت هاتان المادتان المكانة اللائقة بهما في منهج التعليم في هذه الجامعة النبوية فقد بلغ كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم نحو (٦١) كاتباً. (الأعظمي ، ١٤٠١هـ ، ص١٠٣).

واهتمام الرسول بتعليم القراءة والكتابة في مسجده أمر معلوم ، فقد عين الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سعيد بن العاص رضي الله

عنه معلماً للكتابة ، حيث كان كاتباً محسناً ومشهوراً بإجادة الكتابة في الجاهلية ، وجاء الإسلام وهو يتمتع بتلك الشهرة (الوكيل ، ١٤٠٩هـ/٢ ، ص٦٨) وكان مبدأ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم التدريب على إجادة الكتابة علماً أنه من لوازم تعليم الكتابة تعليم القراءة فهما مادتان مقترنتان مع بعضهما. (الأبراشي ، د.ت ، ص٦٩).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال (استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبته ، فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك الصادقة) (الإدريسي ، د.ت ، ج٢ ، ص٢٤٥).

وبالنظر لأول آية نزلت من الوحي على الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ .. ﴾ تدعو للقراءة وهذه القراءة موجهة: ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ مع النظر والتمعن والاستدلال ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ فخلق الإنسان لا شك بأنه مر بمراحل من نطفة حتى أصبح بشراً سوياً. فلا غرابة إذن أن يهتم الإسلام بالقراءة فهي مفتاح المعرفة ، ولهذا نجده صلى الله عليه وسلم يضع في أذهان طلبة جامعته النبوية حقيقة علمية أن أساس العلم القراءة والكتابة.

٩- علم الآداب والأخلاق :

من المواد التعليمية المهمة في هذه الجامعة النبوية دراسة الآداب والأخلاق ، فديننا يحث على مكارم الأخلاق ، ولما سئلت أم المؤمنين عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: كان خلقه القرآن . قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.(القلم : ٤).

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم الفرد المسلم عن التخلق بالأخلاق الفاضلة لأن ذلك يدل على كمال الإيمان ، فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام: (إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً). (الترمذي ، ج٥ ، كتاب الإيمان ، حديث رقم ٢٦١٢).

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وجميعها تبرز ضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة واتباع الآداب العالية والبعد عن الأخلاق السيئة والسجايا الرذيلة. (الأبراشي ، د.ت ، ص٢٩) قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾. (البلد: ١٠) ، وقال عز من قائل: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾. (الشمس: ٧ ، ٨).

وقال صلى الله عليه وسلم : (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس). (مسلم (١٩٧٢م) كتاب البر والصلة والآداب ، حديث رقم ٢٥٥٣) وقال عليه أفضل الصلاة والسلام : (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٤ ، كتاب الأدب) وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٤ ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٦٠٩٤) .

والأمثلة في ذلك أكثر من أن تحصى وهي ما كان يرويها صحابته رضوان الله عليهم ماثلة في شخصه صلى الله عليه وسلم فطبقوها في سلوكهم اقتداءاً به صلى الله عليه وسلم فنعم المعلم المربي ونعم المتعلمون العاملون.

١٠- علم الفرائض والحساب :

يبحث علم الفرائض أصول قسمة التركة - الميراث - على مستحقيها ويطلق عليه أيضاً علم المواريث وهو في الأصل فرع من فروع الفقه إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علمه أصحابه كعلم مستقل ، وحكم دراسة هذا العلم فرض كفاية ، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين. (الخطراوي ، ١٤١٠هـ ، ص١٠) وقد حث النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه تعلمه فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض وإن العلم يقبض وتظهر الفتن ، حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما). (الترمذي ، ج٤ ، كتاب الفرائض ، حديث رقم ٢٠٩١) وإن من لوازم هذا العلم تعلم الحساب فمعرفة التركة وقسمتها ومن هم مستحقيها وكيف قسمتها عليهم تتطلب الإلمام بالأعداد والعمليات الأربع - الجمع والطرح والضرب والقسمة - ولهذا كانت هذه المادة من المواد الأساسية في هذه الجامعة النبوية.(الوكيل ، ١٤٠٩هـ ، ج١ ، ص٩٣).

١١- الشعر والأدب :

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم شاعراً وما ينبغي له ولم يعلم أصحابه الشعر بنفسه إنما كان منهم رضي الله عنهم شعراء ، لعل أشهرهم الشاعر المخضرم حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي أطلق عليه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث استخدم شعره للدفاع عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعن الدعوة الإسلامية وأهلها ورفع رايتها والمنافحة عنها. وقد اعتبر هذا النوع من الشعر ضرباً من ضروب الجهاد في سبيل الله ، يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: (

اذهب إلى أبي بكر ليحدثك حديث القوم وأيامهم وأحسابهم ثم اهجهم وجبريل معك).

ومن هنا كان له رضي الله عنه منبراً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه الشعر ، وحين أنكر عليه عمر بن الخطاب قول الشعر في المسجد قال له: قد قلته وفيه خير منك يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الترمذي ، ج٥ ، كتاب الأدب ، حديث رقم ٢٨٤٦) فلم يكن قوله للشعر إلا بتأييد من الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم). (مسلم (١٩٧٢م) ، ج٤ ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث رقم ٢٤٨٥) ومن أشهر الشعراء كذلك غير حسان بن ثابت ، عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك رضي الله عنهما. ولم يقتصر تعلم الشعر على الرجال من الصحابة وهم كثر ، بل كذلك الصحابيات رضي الله عنهن فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أعلم الصحابة في الشعر ، يقول المقداد بن الأسود رضي الله عنه: (ما كنت أعلم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بشعر ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها) (ابن عبد ربه ، ١٤٠٣هـ ، ج٣ ، ص٣٨٨).

كل ما تقدم يوضح لنا أهمية هذه المادة التعليمية في هذه الجامعة والتي وظفت توظيفاً إسلامياً لنصرة الدعوة والذود عنها.

١٢- علم التاريخ :

في القرآن الكريم كثير من قصص الأنبياء والأمم السابقة ، كقصة آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم الخليل وإسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام ، ومن قصص الأمم

السابقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قصة أصحاب الأخدود ، وعاد ، وثمود وغيرهم ، وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن قصص بعض الأمم السابقة التي لم يرد ذكرها في القرآن الكريم أو وردت وإنما أراد زيادة في الإيضاح وقد يحدث بأمور مستقبلية لم تحدث. (باقارش ، ١٤١٠هـ ، ص٢١٩) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى). (البخاري (١٤١٥هـ)، ج٥، كتاب الفتن ، حديث رقم ٧١١٨) فكان كما حدث عليه الصلاة والسلام والهدف من ذلك العبرة والاستفادة من تجارب الآخرين. (الوكيل ، ١٤٠٩هـ/١ ، ص٦٩) فالمربي البارع لا يترك الأحداث والقصص التاريخية تذهب سدى وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها. (قطب، د.ت ، ص٢٥٥) وقد وجد في مسجده صلى الله عليه وسلم من مارس تعليم هذه المادة فهذا ابن عباس رضي الله عنهما يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا جماعة فقال: (ما هذا) قالوا: رجل علامة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وما العلامة) قالوا: رجل عالم بأيام الناس وعالم بالعربية وعالم بالأشعار وعالم بأنساب العرب. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص١٧٣).

١٣- علم الجغرافيا :

تشكل هذه المادة أهمية في التعليم الجامعي النبوي. فقد ورد في الذكر الحكيم عن الليل والنهار والشمس والقمر والأرض والجبال والبحار والزلازل والبراكين والرياح والأمطار وغيرها من الظواهر الكونية قال تعالى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٠-٢٢) وقال عز من قائل: ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ* وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ* لَا

الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس: ٣٧-٤٠) وقد اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمواقع الجغرافية ، فحدد موقع المدينة من جهة الشمال والجنوب والشرق والغرب ، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (المدينة حرم ما بين عير إلى ثور). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٥ ، كتاب الفرائض ، حديث رقم ٦٧٥٥) وقال عليه الصلاة والسلام: (حرم ما بين لابتي المدينة على لساني) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب فضائل المدينة ، حديث رقم ١٨٦٩).

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم رغّب في مثل هذا العلم فعن جابر بن زيد قال: (أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على قوم في المسجد وهم يتذاكرون ، فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم سكتوا ، فقال ما كنتم تقولون ، قالوا نتذاكر في الشمس وفي مجراها ، قال كذلكم فافعلوا تفكروا في الخلق) (البصري ، ١٤١٥هـ ، ج١ ، ص٣١١).

١٤- العلوم الإدارية والسياسية :

في هذه المجالات كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يعلم أصحابه أصول السياسة والتي تمثلت في الشورى ، والعدل ، والمساواة ، وطاعة ولي الأمر ، وكذلك كيف يعامل الأسرى وطبق ذلك عملياً أمامهم ، ففي مجال الشورى تجده عليه أفضل الصلاة والسلام إذا أراد أن يعزم على أمر لم يكن هناك برلمان يجمعهم فيه أو مقر شورى غير المسجد، فيؤذن المؤذن الصلاة جامعة ، وهنا يعلم الصحابة إنما هناك أمر فيأتون سراعاً لداعي الله عز وجل ، ففي معركة أحد عقد رسول الله مجلس استشاري عسكري أعلى تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف وأخبرهم عن رؤيا رآها قال: (إني قد رأيت والله خيراً ، ورأيت بقراً يذبح ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً

ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصين). وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون وتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته وتأول الدرع بالمدينة فكان رأى الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن لا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها. لكن جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاتهم الخروج يوم بدر رغبوا في الخروج لملاقاة جيش المشركين وألحوا على الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك وكان من بين هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستقر الرأي على الخروج نزولاً عند رأي الأغلبية. (المباركفوري ، ١٤١٦هـ ، ص٢٥١) والشواهد في استشارة الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته كثيرة في مواقف متعددة ، ومن المواقف التعليمية في هذه المادة المتعلقة بهذا العلم عقد البيعة وطاعة ولي الأمر والعدل بين الرعية وأحوال الولاة وشروط من يصلح للإمارة وتحريم الخروج على الإمام وحمل السلاح على الأمة. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٧٣) وتعرف هذه المادة في الفقه بالسياسة الشرعية. أما في مجال الجهاد فقد تضمن تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم الترغيب في الجهاد وبيان فضله وآدابه المشروعة قبل خوض المعركة وأثنائها وبعد انتهائها وغير ذلك من المواقف التعليمية التي لا يمكن حصرها ، وكان أغلب هذه التوجيهات العسكرية والتدريبات في مركز السيطرة والقيادة والتحكم والقاعدة والكلية العسكرية الجامعة النبوية مسجده صلى الله عليه وسلم . فحين كان للمسجد هذه المهمة كانت الغلبة والنصر والعزة للمسلمين أما حين افتقد المسجد هذه المهمة آل حال المسلمين إلى ما نشاهده اليوم. (خطاب ، ١٤٠١هـ ، ص١٤١).

وفي مجال العلوم الإدارية وضع الرسول صلى الله عليه وسلم أساس التنظيم الإداري ، فقد أنشأ ديون الإنشاء لمراسلة الملوك والأمراء وكان يكاتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة رضوان الله عليهم. (الكتاني ، د.ت

، ج١ ، ص١١٨) وفي مجال العلاقات الإنسانية بين سكان المدينة من المسلمين وغيرهم وضع ميثاقاً خاصاً عرف هذا باسم (الصحيفة) حدد الرسول صلى الله عليه وسلم أطرافه في بداية هذه الصحيفة حيث يقول: (هذا كتاب من محمد النبي الأمين بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس .. إلخ) (الجزائري ، ١٤١٠هـ ، ص١٧٧).

والتنظيمات الإدارية الإسلامية والتي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم في تنظيم الدولة الجديدة وانتهجها من بعده صحابته الكرام والتابعين واتخذوا من المسجد النبوي مركزاً للتعليم والتنظيم معلومة معروفة ألفت فيها الكتب الكثيرة ويعتبر نواة للتعليم الإداري الإسلامي ، وفيه ما يغنينا عما سواه من نظريات وأساليب إدارية وافدة.

١٥- اللغات :

ربما يستغرب البعض أو قد يقول من المبالغة القول أن هذه المادة وجدت في هذه الجامعة النبوية ، ولكن متى ما عرف السبب بطل العجب ، صحيح أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ولكن ما يحيط بالمجتمع المدني من قبائل يهودية لها لغتها الخاصة بها ، أضف إلى ذلك ما يحيط بجزيرة العرب من ملوك ورؤساء كاتبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بلغاتهم كل ذلك جعلت الحاجة ملحة لتعلم بعض اللغات. (الزعبي ، ١٤٠٧هـ ، ص٢٩٩) وقد اشتهر زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه بتعلم بعض اللغات بأمر منه صلى الله عليه وسلم ، لكونه يترجم للرسول صلى الله عليه وسلم ما يرد له من كتب باللسان العجمي كما كان يكتب للملوك ويجيب على رسائلهم بلغاتهم فقد تعلم لغة اليهود بأمره صلى الله عليه وسلم حيث قال رضي الله عنه:

(أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود قال: (إني والله ما آمن يهود على كتاب) قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له. قال فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم). (الترمذي ، ج٥ ، كتاب الاستئذان ، حديث رقم ٢٧١٥).

وكان بعض الصحابة يجيد بعض اللغات ومن بين هؤلاء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. يقول ابن الجوزي قال هشام: (كان له مائة غلام – أي عبد الله بن الزبير – كل غلام يتكلم بلغة وكان ابن الزبير يكلم كل واحدة بلغته). (الكتاني ، د.ت ، ج١ ، ص٦٧) وجدير بالذكر أن تدريس هذه المادة لم يكن بالمعنى المفهوم وإنما كان توجيه نبوي بتعلمها بما يفي حاجة المجتمع في ذلك الوقت.

١٦- التربية الجسمية :

عني الإسلام بالتربية الجسمية للفرد المسلم وأوضح قيمة المسلم سليم البنية كفرد قوي في المجتمع المسلم. والدين الإسلامي يهتم بسلامة الأجسام والنفوس والأرواح ، وأوضح دور قوة الفرد الجسمانية والروحانية التي تتيح للفرد المسلم الجهاد في سبيل الله والذود عن حياض الدين كما أوضح الإسلام دور الرياضة البدنية في تقوية صحة الفرد المسلم وصون الجسم من العبث وحفظه من المرض وتحصينه من العلل.(الشافعي، ١٤٠٠هـ ، ص١) وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف). (مسلم (١٩٧٢م) ، ج٤ ، كتاب القدر ، حديث رقم ٢٦٦٤) ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام: (إن لجسدك عليك حقاً ..) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٢ ، كتاب الصوم ، حديث رقم ١٩٧٥) ومن توجيهاته لصحابته رضوان الله عليهم نجده صلى الله عليه وسلم بين لهم أهمية النظافة في الأبدان والملابس والطرقات والأفنية ، ويأمرهم بالتزين والتجمل . هذه التوجيهات وخلافها تمثل الجانب

النظري في هذه المادة التعليمية ، وهناك جانب عملي تمثل في الأنشطة الرياضية التي يمارسها الصحابة رضي الله عنهم بتوجيه أو إقرار من الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاركته في بعضها ، منها ما كان يمارسها الصحابة في مسجده جامعة الإسلام الأولى ، كاللعب بالحراب فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم) ، وفي رواية: (يلعبون بحرابهم). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ٤٥٤) ومنها ما كان يمارس خارج المسجد مثل سباقات الخيل ، والإبل ، والرمي ، والمصارعة ، والسباحة ، وحمل الأثقال ، وسباق الجري والعدو. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٨٤) ومن هنا يتضح لنا أهمية هذه المادة التعليمية العملية في الجامعة النبوية.

١٧- الطب :

إن الطب النبوي والعلاج المحمدي لهو أجود الطب وأنفعه ، فصاحبه نبي الرسالة صلوات الله وسلامه عليه استمده من وحي السماء وممن أوجد الداء والدواء ، وقدر المرض والشفاء سبحانه وتعالى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء). (البخاري (١٤١٥هـ) ، كتاب الطب ، حديث رقم ٥٦٧٨) وقد عني علماء الإسلام بما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم من أحاديث تحدثت عن طبه ، فأفردوا لها أبواباً في كتبهم ، مثل كتب السنة ، كصحيح البخاري ومسلم وغيرها ، فيما أفرد البعض مؤلفاً خاصاً عرف باسم الطب النبوي. (الأنصاري ، ١٤١٤هـ ، ص١٣٧) وقد تلقى الصحابة هذا العلم بقسميه النظري والعملي في هذه الجامعة النبوية وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

أولاً: القسم النظري : ويتفرع إلى فرعين :

أ – الطب الوقائي :

ويهتم هذا الفرع بصحة الجسد والبيئة المحيطة ، والوقاية من الأمراض السارية ، ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث على النظافة في البدن والثوب والمكان ، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده) (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب الجمعة ، حديث رقم ٨٩٧) ومن لوازم الطهارة نظافة الفم وحماية الأسنان من التسوس الذي قد تمتد أضراره إلى أجزاء أخرى في الجسم ، ولهذا نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد في أكثر من حديث على السواك فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج١ ، كتاب الجمعة ، حديث رقم ٨٨٧) ، والسواك طهارة للفم وحماية للأسنان ، إضافة إلى أن في ذلك تحقيقا لمرضاة الله عز وجل لمستخدم السواك ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب). (ابن ماجة ، ج١ ، كتاب الطهارة وسننها ، حديث رقم ٢٨٩).

ووضع قاعدة للحجر الصحي ، وما ذلك إلا حفاظاً على المجتمع من سريان الأمراض المعدية فيه ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام: (إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٤ ، كتاب الطب ، حديث رقم ٥٧٢٨) كما أمر عليه الصلاة والسلام بعدم مخالطة ذوي الأمراض المعدية فقال: (لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد) (البخاري (١٤١٥هـ)

، ج٤ ، كتاب الطب ، حديث رقم ٥٧٠٧) هذه الأحاديث الشريفة وغيرها تعطي في مجموعها القواعد الأساسية لعلم الطب الوقائي المحمدي. (الوكيل ، ١٤٠٩هـ/١ ، ص٩٠).

ب- الطب العلاجي : ويتفرع إلى فرعين :

١- ما كان صادراً من النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث يصف فيها العلاج لغيره أو ما ثبت أنه تطبب به ومن ذلك :

أ - أنه نبه إلى أصول المعالجة في الجراحة فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الشفاء في ثلاثة: شرطة محجم ، وشربة عسل ، وكية بنار ، وأنهي أمتي عن الكي). (البخاري (١٤١٥هـ) ج٤ ، كتاب الطب ، حديث رقم ٥٦٨١).

ب- وحدد فوائد بعض الأدوية ومن تلك الحبة السوداء . فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام) قلت وما السام قال: (الموت). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٤ ، كتاب الطب ، حديث رقم ٥٦٨٧).

ج- ومن ذلك تحديده علاج الحمى فعن فاطمة بنت المنذر أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: (كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها ، أخذت الماء ، فصبته بينها وبين جيبها . وقالت: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نبردها بالماء) . (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٤ ، كتاب الطب ، حديث رقم ٥٧٢٤).

٢- ما كان تعلمه قائماً على التجربة والاستفادة من خبرات الآخرين ، فقد كانت الوفود تقدم على هذه الجامعة النبوية وتلتقي بالنبي صلى الله عليه

وسلم حيث يصفون لـــه بعض الأدوية والعلاجات ، يدل علـــى ذلـــك قـــول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما سألها عروة بن الزبير عـــن ســـبب علمها بالطب قالت: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سقيماً في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت لـــه الأنعات فكنـــت أعالجها). (ابن الجوزي ، ١٤٠٥هـــ ، ص٣٣) وهذا مما يؤكد أن مادة الطب كان يتعلم جانباً منها بالممارسة في هذه الجامعة وهذه الرواية أكبر دليـــل علـــى ذلك.

ثانياً: القسم العملي (الجانب التطبيقي) :

وللجانب التطبيقي نصيب في هذه الجامعة ويقصـــد بـــه الممارســـة الفعلية لهذه المهنة ، وما سبق من أحاديث وغيرها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عالج بعض أصحابه أو أخبرهم بعلاج بعض الأدوية ، كما مارسها أيضاً ممن له دراية بالطب من الصحابة رضـــي الله عـــنهم ، ولـــم يقتصر على الرجال فقط بل إن النساء شاركن في هذه المهمة ، وكان جانبـــاً من المسجد النبوي يمثل المستشفى الجامعي المعروف في الوقت الحاضـــر ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أصيب سعد يوم الخندق فـــي الأكحـــل فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب ، فلـــم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا يـــا أهـــل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغدو جرحه دماً ، فمات فيها) (البخاري (١٤١٥هـــ) ، ج١ ، كتاب الصلاة ، حديث رقم ٤٦٣). وكانت التي تقوم بعملية التمريض والعلاج لسعد رضي الله عنه امرأة يقال لها رفيدة من قبيلة أســـلم وكان لها خيمة في المسجد وكانت تداوى الجرحى . وهي بمثابـــة العيـــادة الخاصة في هذا المستشفى الجامعي النبوي. (الجزائري ، ١٤١٠هـــ ، ص٣١٧) هذه

المادة وإن كانت لا تدرس بالطرق المعروفة اليوم إلا أنها وبلا شك من أهم المواد التعليمية.

١٨- علم الأنساب :

عرف عن العربي قبل الإسلام تمسكه بقبيلته وتعصبه لها لكنها كانت عصبية جاهلية مذمومة فكثير ما قامت الحروب الطاحنة بسبب تلك العصبية الجاهلية بين القبائل العربية. كما عرف عن العربي إلمامه بالأنساب والقبائل وأيام العرب وشعرهم وقصصهم فلما جاء الإسلام هذب ذلك وأزال الفوارق والعصبية وحولها إلى أخوة إسلامية وقد حث على ذلك الإسلام ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... ﴾ (الحجرات: ١٣) والتعارف المأمور به هنا لا يتحقق إلا بمعرفة الأنساب فيكون تعلمها مأموراً به. (ابن عبد ربه ، ١٤٠٣هـ ، ج٣ ، ص٣١٢) وقد حث عليه أفضل الصلاة والسلام على تعلمه بعيداً عن العصبية الجاهلية فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منسأة في الأثر). (الترمذي ، ج٤ ، كتاب البر والصلة ، حديث رقم ١٩٧٩) وكان عليه أفضل الصلاة والسلام خبير بأنساب العرب ، كما اشتهر بعض الصحابة بهذا العلم مثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه. كما وجد في مسجده صلى الله عليه وسلم من يعلم النسب في عهده. (الحربي ، ١٤١٠هـ ، ص٢٧٤) ولم يقتصر تعلم هذا العلم على الرجال فقط بل كان من النساء من لديه إلمام به فهذه عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشهر النساء معرفة بأنساب العرب وأيامهم وشعرهم. (ابن الجوزي ، ١٤٠٥هـ ، ص٣٢).

١٩- التعليم الحرفي والمهني :

من أهم المواد التعليمية في هذه الجامعة النبوية تعليم الحرف والمهن التي تساعد المسلم على اكتساب رزقه الحلال وتوجهه له ، وتحثه عليه ، ويكفي أنه صلى الله عليه وسلم مارس هذا بنفسه ، فكان راعياً للغنم ومارس التجارة حيث تاجر بأموال زوجه خديجة رضي الله عنها .

هكذا كان عليه أفضل الصلاة والسلام يحب أن يأكل من عمل يده ، فلم يرغب بالمسلم أن يكون عالة على غيره ، وقد جاء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التركيز على عدد من المهن والحرف والتي شكلت في مجموعها ما يمكن أن يطلق عليه التعليم المهني بقسميه النظري والعملي كالتجارة ، والزراعة ، والصناعة ، وحرف أخرى أباحها الشارع ، وقد اهتم علماء المسلمين بالتوجيهات الشرعية وجمعت في باب من أبواب الفقه عرف باسم فقه المعاملات ففي مجال التجارة كان عليه أفضل الصلاة والسلام يبين لأصحابه ويحثهم على قيمتها ووجههم إلى آدابها والتعامل فيها وكان هذا يعتبر تعليماً تجارياً فعن حكيم ابن حزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بعيهما ، وإن كتما وكذبا : محقت بركة بيعهما). (البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٢ ، كتاب البيوع ، حديث رقم ٢٠٧٩).

وفي مجال الزراعة كان عليه أفضل الصلاة والسلام يحث عليها ويأمر باستغلال الأرض وزراعتها ، والمهم هنا أنها كانت مادة تعليمية يلقيها الرسول صلى الله عليه وسلم على المتعلمين ويطبقونها عملياً في حياتهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ، فإن أبى فليمسك أرضه).

(البخاري (١٤١٥هـ) ، ج٢ ، كتاب الحرث والمزارعة ، حديث رقم ٢٣٤١). كما حث النبي على احتراف بعض المهن ووجه أصحابه بممارستها ، فكانت بمثابة مادة تعليمية مهنية وجه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم إليها مثل صناعة المفارش وصناعة الملابس وبعض الصناعات الحربية وآلات الحرب. (حسنين ، ١٤١٣هـ ، ص٦٥).

فيما سبق كانت لمحة سريعة لبعض المواد التعليمية في هذه الجامعة الأولى في الإسلام والتي استمرت ولا زالت تؤدي دورها ورسالتها التربوية على أكمل وجه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سابعا : الفرق بين التعليم في المسجد والتعليم في المدرسة :

لم يعرف علماء المسلمين في العصور الأولى مقراً للتعليم يجمع الناس إلا المسجد ، وذلك قبل انتشار المدارس النظامية والتي قلصت بعد ذلك الدور الذي كان يؤديه المسجد كمركز تعليمي من أهم المراكز التعليمية ، إلا أن هذه المدارس والجامعات لم تفعل ما فعله المسجد وذلك لعدة وجوه ومنها:

أولاً: أن التعليم في المسجد يكتنفه جو عبادي يشعر فيه المعلم والمتعلم والسامع أنهم في بيت من بيوت الله ، فيكونون أقرب إلى الإخلاص ، والتجرد ، والنية الحسنة ، لا يقصدون في الغالب من التعلم والتعليم إلا وجه الله سبحانه وتعالى لا يرجوه جاهاً ولا مغنماً ولا مكسباً ، ولهذا نجد غزارة العلم ، وحفظه ، وإتقانه عند كثير من علماء المسجد في أوقات قصيرة ، بخلاف طلاب المدارس فإنهم في الغالب لا يصلون إلى مرتبة علماء المسجد ، والواقع التاريخي يشهد بذلك.

فهل خرجت المدارس كالخلفاء الراشدين ؟ وهل خرجت المدارس كالأئمة المحدثين ، والفقهاء ، والنحويين ، وما شابههم ؟

ثانياً: التعليم في المسجد أشمل حيث يدخل المسجد من شاء من العلماء والمؤهلين لتعليم الناس ، كما أنه يدخله من شاء من المتعلمين أو المستمعين فيستفيد في المسجد جمع غفير ، العالم ، والمتعلم ، والمستمع ، على حسب ما عنده من الاستعداد والوقت.

وعلى النقيض من ذلك المدارس فلا يدخلها إلا عدداً محدوداً من المعلمين والمتعلمين ، ولا يؤذن لمن يريد أن يتفقه في الدين بالتردد عليها ، ولذلك اضطرت الدول في العصر الحديث إلى إيجاد مدارس محو الأمية ، وهذه لا تفي بحاجة الناس كالمساجد فهي جامعة شعبية صالحة للمتعلمين على جميع المستويات وبدون تحديد للأعداد كما هي الحال في المدارس.

ثالثاً : أن علماء المساجد وطلابها أقرب إلى عامة الناس من طلاب المدارس والجامعات ، حيث نجد العامة يقبلون إلى عالم المسجد وطلابه ، ويستفيدون منهم ، كما أن عالم المسجد وطلابه يهتمون بعامة الناس في التعليم والدعوة أكثر من غيرهم ، ولا شك أن هذا الارتباط له مزاياه في التوجيه والتعليم والدعوة إلى الله. (الأهدل ، ١٤١١هـ ، ص٧٦-٧٨).

إضافة إلى كل ما سبق فإن التعليم والتعلم في المسجد يحصل به المعلم والمتعلم على أجر عظيم وفضل كبير ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاماً حجته) رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوق (الهيثمي ، ١٤٠٧هـ ، ج١

، ص١٢٣) وهذا لا يعني أن المعلم والمتعلم في المدارس لا ينالـــه الأجـــر ، ولكن على ما يظهر أن فضل من يمارس ذلك في المسجد أعظم.

المحور السادس

أدوار أخرى للمسجد في صدر الإسلام

ارتبط تاريخ التربية الإسلامية بالمسجد ارتباطـــاً وثيقـــاً ، ذلـــك أن وظيفته لم تقتصر على الجانب الديني فقط ، وإنما امتدت لتشمل مهمة التربية والتعليم . فقد اختاره الرسول المجتبى صلى الله عليه وسلم ، ليكون مركـــزاً للتوجيه والتعليم ، والتفقه في الدين. وكان الصحابة رضوان الله عليهم بعد الرسول صلى الله عليه وسلم يقيمون حلقات التعليم في المســـجد ، سواء كان في مسجده صلى الله عليه وسلم أو في غيره من المساجد المنتشرة في البلاد الإسلامية التي فتحها المسلمون بعد ذلك وتفـــرق فيهـــا الصـــحابة رضوان الله عليهم. { شلبي ، ١٩٧٨م ، ص١٠٢-١٠٤ } .

والمسجد يعد أحد المؤسسات التربوية ذات الدور المباشر في التأثير على حياة الفرد المسلم ، وسلوكياته ، وتعامله ، مع أفراد المجتمع من حوله ، فالمسجد جامع وجامعة ، لأنـــه يمثـــل الحيـــاة الروحيـــة ، والفكريـــة ، والاجتماعية ، والسياسية ، والقضائية ، والتعليمية ، والصحية ، والثقافيـــة ، والعسكرية وهو بحق أفضل مكان ، وأطهر بقعة ، وأقدس محل يمكن أن يتم فيه تربية الفرد المسلم وتنشئته ليكون بذلك فرداً صالحاً في مجتمع صـــالح ، ويكفي المسجد أنه مدرسة أستاذ البشرية ، ومعلم الإنسانية محمد صـــلى الله عليه وسلم .

وخريجو مدرسة النبوة الذين تخرجوا من المسجد تحولوا من رعاة للغنم إلى قادة للأمم ، ومن عباد للحجر إلى سادة للبشر ، فملأوا الدنيا عدلاً وسلاماً ، ورحمة ووئاماً ، وعلماً وإيماناً ، فرضي الله عنهم ورضوا عنه. { الشهري ، ١٤١٢هـ ، مجلة التضامن الإسلامي ، عدد ١١ ، شهر جماد الأولى ، ص١٥ }.

ولذا كانت التربية والتعليم من ألصق وظائف المسجد وأهمها ، ولقد دفع الرسول صلى الله عليه وسلم أمته إلى الاهتمام بحلق العلم وخاصة حلقات المساجد ، وحذر الأمة من التقصير والإهمال في ذلك فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: (أيكم يحب أن يغدوا كل يوم إلى بطحان ، أو إلى العقيق ، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيع رحم ؟) فقلنا يا رسول الله كلنا يحب ذلك. قال: (أفلا يغدوا أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل). {مسلم (١٩٧٢م) ، ج١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وتعلمه ، حديث رقم ٨,٣ ، ص٥٥٢}.

ولقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم أهمية التعلم في المسجد فكانوا يتنافسون في الحضور إلى حلق العلم ويوصي بها بعضهم بعضاً. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها فقال: (يا أهل السوق ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة قال : ذاك ميراث النبي صلى الله عليه وسلم يقسم وأنتم هاهنا ألا تذهبون فتأخذوا نصيبكم منه ؟ قالوا أين هو ؟ قال : في المسجد . فخرجوا سراعاً ووقف أبو هريرة ولم يبرح مكانه حتى رجعوا فقال لهم : ما لكم ؟ فقالوا : يا أبا هريرة قد أتينا المسجد فدخلنا فيه فلم نر شيئاً يقسم ؟ فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم في المسجد

أحداً ؟ قالوا : بلى رأينا قوماً يصلون وقوماً يقرأون القرآن وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام . فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك ميراث محمد صلى الله عليه وسلم ، إنه لم يورث درهماً ولا ديناراً وإنما ورث العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر). { الطبراني ، ١٤١٥هـ ، ج٢ ، باب الألف من اسمه أحمد ، حديث رقم ١٤٢٩ ، ص١١٤ } هكذا كان اهتمامهم بالمساجد كمنارة للعلم والتعليم ، فهذبت النفوس وفعلت ما لم تفعله جامعات اليوم. ويوم أن كانت المساجد تؤدي دورها الحقيقي كمصدر إشعاع وهداية كانت عزة الإسلام والمسلمين ، فقد تخرج منها الخلفاء ، والأمراء ، والقواد ، والزعماء ، والمحدثين ، والفقهاء ، والمفسرين ، ورجال القضاء ، وأساتذة اللغة ، والأدب ، والمفكرين ، والمثقفين ، والدعاة ، والعلماء ، في شتى أنواع المعرفة مهن شهد لهم التاريخ بأنهم أصحاب التأثير العظيم في مسار عجلة الزمن وفي ثقافة الأمم وحضارة الشعوب. { القرني ، ١٤١٢هـ ، ص٣٤-٣٥ } فهم علماء بما تحمله هذه الكلمة من عموم لعلوم الدين والدنيا .

وعلى هذا فإن المسجد قام بأدوار متعددة في المجتمع الإسلامي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بشكل واضح ومؤثر أكثر من أي عصر مر بعد ذلك ، وسنعرض لهذه الأدوار مع إبراز المضامين التربوية لكل دور منها .

أولاً : الدور الديني للمسجد :

إن الوظيفة الأولى للمساجد هي أنها أماكن عبادة ، فيها يؤدي المسلمون صلواتهم وجمعهم وجماعاتهم ، ويقرأون القرآن ويذكرون الله.

وصدق الله إذ قال ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ { التوبة: ١٨ }.

إن مهمة المساجد هي كما بين الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ { النور : ٣٦ -٣٧ }.

ومن الآية نرى أن الله تعالى أذن أن ترفع بيوته بتعظيمها ورفع شأنها بالتقديس والتطهير وإقامة الشعائر الدينية فيها بعد رفع قواعدها وبنيانها .

وذكر الله فيها (عام) يشمل الصلاة نفسها والأذان وقراءة القرآن والتسبيح والدعاء والتضرع إلى الله تعالى .

ولذا حث الدين الإسلامي على ارتياد المساجد وحضور الجماعة فجعل ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله – من كان قلبه معلق بالمساجد ، أي بالتردد عليها وإقامة الصلاة فيها وعمارتها.

وليس أثر الصلوات مقصوراً على جانب واحد فقط بل هناك عدة جوانب منها النفسي ، والجسمي ، والعقلي.

فمناجاة العبد ربه وتذلله إليه واعترافه بخطاياه وطلب العفو والمغفرة وترك الدنيا جانباً عند الدخول إلى المسجد أمور تدخل إلى النفس طمأنينة وراحة تختلج فيها وتريحها من عناء التفكير في الخطيئة والذنب. { القرضاوي ، ١٣٩٣هـ ، ص٢١٧ }.

فالمسجد يهذب نفس المسلم ويرقى بمشاعره ويبعث لديه السكينة والطمأنينة ، كما أنه يصل المسلم بربه ويطهر نفسه من الأنانية وحب الذات ، وذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ { العنكبوت: ٤٥ } ، والصلاة وقراءة القرآن تمنحان صاحبهما فيوضات ربانية ورحمات إلهية لا تنقطع ، وتباعد بين الإنسان والفواحش والمنكرات { أبو النصر ، ١٤٢١هـ ، ص٢٣ }.

فالمسجد مقر إعلان العبودية لله وإخلاص توحيده ودعائه ، وهو الذي تؤدى فيه الشعائر التعبدية وهو مقر استمداد التقوى وملجأ المتقين المتطهرين .

ثانياً: الدور الاجتماعي للمسجد :

ينفرد المجتمع الإسلامي بنظامه الخاص – والعلة الرئيسية هي – (أنه مجتمع من صنع شريعة خاصة ، جاءت من لدن اله ، فهذه الشريعة التي وجدت كاملة منذ نشأتها ، وهي التي أوجدت المجتمع وأقامته على الأسس التي أرادها الله لعباده لا التي أرادها بعض هؤلاء العباد لبعض) { قطب ، ١٣٩٨هـ ، ص٦٣ }.

وحري بالمسجد أن يقوم بدوره في بناء هذا المجتمع لأنه مركز التوجيه والإشعاع ومقر التخطيط لبناء المجتمع ومنبر الهداية والإرشاد لجميع من دخله من المسلمين دون تفريق بينهم.

إن من أول ما دعا إليه الإسلام هو عدم التفرقة بين المسلمين فقيرهم وغنيهم ، عربيهم وعجميهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ولم يفضل أحد على أحد إلا بقدر تقواه.

وما من مكان يتجلى فيه هذا القانون الاجتماعي بصورة جلية مثل المسجد إذ يقف الجميع في صف واحد في الصلاة وقد ذابت وانصهرت جميع الفوارق التي تميز بعضهم عن بعض.

إن وحدة المجتمع الإسلامي وتكاتفه وقوته مستمدة من أمور منها عدم التفريق بين الأجناس والطبقات والأعمار ، لذا أصبح هذا المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ليس هذا في الصلاة فحسب بل حتى في المعاملات الشرعية والشخصية ، والاجتماعية في الحياة .

إن المسجد هو المكان الطبيعي الذي يجمع المسلمين لغرض واحد وبنية خالصة خلف إمام واحد لا يختلفون عليه ، هذا الاجتماع الذي يوحي بالتآلف والوحدة ، هو السبيل إلى السيطرة على طبائع النفوس ونزعاتها ففي داخل المسجد يتربى المسلم على تطهير نفسه وتصحيح عقيدته من أجل القرب من ربه ، سراً وعلانية ، وفي داخل المسجد يتربى المسلم على الاتصال بإخوانه المسلمين والسؤال عنهم ، وتقوى الروابط الاجتماعية بينه وبينهم مما يجعله يهتم بجميع شؤونهم ، وفي اجتماع المسلمين في المسجد يشعر الجميع بالقوة والانتماء للجماعة مما يجعل الفرد منهم يشعر بالطمأنينة ويحس بالراحة النفسية والكرامة والأمان .

إن اعتياد المسجد والتردد إليه ينعكس على سلوك الفرد في مجتمعه وبذلك يحمل الفرد المسلم في داخل نفسه روح الجماعة التي يقف معها بين يدي الله ، مما يجعله يسعى إلى الحفاظ على كيان المجتمع الذي هو جزء منه. وما الأمة إلا تلك المجتمعات المكونة من الأفراد.

والأمة الإسلامية هي الجديرة بأن تسمى أمة لما يربط بين أفرادها بعضهم البعض ومجتمعاتها بعضها البعض من الروابط القوية التي منشأها الدين الإسلامي .

وليس أدل على هذا القول من قوله تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ { آل عمران : ١١٠ }.

ولقد جعل النبي المسجد بمثابة مكتب للخدمة الاجتماعية وجمع التبرعات ومعاونة المجتاجين (حدث أن وفد عليه قوم عراة مجتابي النمار – أو القباء – متقلدي السيوف فتمعر وجهه – أي تغير – لما رأى بهم من الفاقة ، فأمر بلال فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب في الناس حاثاً لهم على رعاية الرحم وتقديم الخير ، فانهالت التبرعات من الدنانير والثياب والبر والتمر حتى تكون كومان عظيمان من الطعام والثياب ، فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم وأعطى القوم حتى سروا) { علي ، ١٩٧٨م ، ص١٠١ }.

ولئن كانت المؤسسات الاجتماعية اليوم تبذل قصارى جهدها للاهتمام بالفئات التي تحتاج إلى الرعاية والعناية الاجتماعية من المعوقين والفقراء والمعوزين والمرضى والغرباء واليتامى ممثلة في دور الرعاية الاجتماعية فإننا نرى المسجد النبوي قبيل أربعة عشر قرناً من الزمان كان يقوم بهذا الدور على أكمل وجه ، كما كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم مقام الجمعيات الخيرية في جمع الزكاة والصدقات من الموسرين والمنفقين وتوزيعها على مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم من مصارف الزكاة.

ويبدو لنا من الحادثة السابقة مدى تأثير الخطبة التي ألقاها الرسول في المسلمين والتي يهيب فيها بالمسلمين بالتبرع ومساعدة المحتاجين ، ولم

يتأخر أحد في تقديم ما تجود به نفسه استجابة لمطلب الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم تكن هذه الخطب إلا واحدة من خطب مثيلة لها في التأثير والاستجابة في مختلف شئون الحياة الاجتماعية والدينية والأخلاقية ومن هذا نجد مبدأ التكافل الاجتماعي يتخذ طريقاً له في المجتمع الإسلامي من خلال المنبر بشكل لا يتحقق فيما لو كان في مكان غير المسجد.

ولهذا بقيت المجتمعات المسلمة قوية متماسكة في كل الظروف حتى بعد أن اندثرت الدولة وانهارت النظم الإدارية التي كانت تنظم للناس أمور معاشهم لأن كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي يحمل في أعماق روحه روح الجماعة التي تفرض عليه مد يد العون لأخيه المسلم دون أن يسأله من هو أو من أين أو ما إلى ذلك ، بل يسارع إلى تفريج كربته لأنه يعلم أنه يدين بعقيدة التوحيد مثله سواء بسواء . ومن هنا جاءت عظمة هذا الدور الذي قام به المسجد.

من هذا كله يتضح لنا الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به المسجد كجزء من دوره التربوي في المجتمع الإسلامي.

كما يتضح أن هذا الدور – الدور الاجتماعي – سار جنباً إلى جنب وباتزان بديع مع الأدوار الأخرى التي كان يقوم بها المسجد في المجتمع الإسلامي.

ثالثاً : الدور العسكري للمسجد :

بعد أن ذكرنا ما يقوم به المسجد من دور في التعليم وعقد حلقات العلم وذكرنا أيضاً أثره في بناء المجتمع الإسلامي وتوجيه هذا المجتمع وإرشاده هذا إلى جانب الدور الديني من إقامة الصلاة وتعليم القرآن الكريم بعد هذا كله نأتي على دور هام وهام جداً قام به المسجد ، هذا الدور هو الدور العسكري (أو السياسي والحربي) حيث أدى المسجد دوراً إيجابياً وفعالاً في هذا المجال في الوقت الذي لم يكن فيه تنظيم عسكري يضم الجيش أو الشرطة وما إلى ذلك مما ظهر بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل ما هنالك أن تحدد مسئولية قيادة الجيش في رجل من المسلمين ويخرج المسلمون معه ملبين داعين للجهاد في سبيل الله.

ولقد كان المسجد النكنة الأولى في الإسلام ، ومقر القيادة العسكرية والحربية آنذاك.

فقد اتخذ النبي من مسجده مقراً للقيادة ، يعد فيه الخطط ويعقد مجالس الجهاد ، ويصدر الأوامر وينصت إلى آراء المستشارين ، وكان يحشد أصحابه في المسجد ، ويشحنهم بطاقات مادية ومعنوية ويحرص المؤمنين على الثبات وينهاهم عن الفرار ، ويحذرهم من الفرقة والنزاع ، ويأمرهم بالطاعة والضبط ويشيع فيهم الإلفة والنظام.

وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد (وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر ، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد وتضمد جروح المصابين ، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد) { خطاب ، ١٤٠١هـ ، ص٤٢ }.

ولم يكن دور المسجد مقصوراً على إعداد الجيش وعقد الألوية على القادة . بل كان مكان استقبال الوفود التي تفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن من شئون الدولة أو إعلان الإسلام ، أو طلب عقد معاهدة أو معونة .

(وكان المسجد أشبه بقاعة الاستقبال الرسمية ، مفتوحة ومهيأة لجميع الوافدين. وقد استقبل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران) { علي ، ١٩٧٨م ، ص١٠١ }.

كما ساهم المسجد في بناء الجيش الإسلامي وعقد الألوية وحث المسلمين على الصبر في ملاقاة العدو والحرص على إعلاء كلمة التوحيد ، كذلك كان مركزاً ومقراً لإدارة شئون الدولة أو الولاية ، وكان المنبر أشبه بالعرش ، يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة ويلقي فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم.

(وفي المسجد تذاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح العام ويستقبل الخليفة السفراء ويدير شئون الدولة) { حسن ، ١٩٦٤م ، ج٤ ، ص٤٢٢ }.

إن الأثر الذي يتركه المسجد في نفوس المسلمين عظيم وكبير سواء كان أثراً دينياً أو اجتماعياً أو علمياً أو سياسياً أو خلقياً أو غير ذلك ، وليس أدل على هذا القول من استمرار المسجد كمركز إشعاع ديني وروحي ونفسي رغم المحن التي تعرض لها المسلمون في مختلف العصور.

ولقد أحس القادة المسلمون بمكانة المسجد في الإسلام وخاصة من الناحية العسكرية بل ربما اعتبره البعض رمزاً لسيادة الإسلام في البلدان التي

فتحها المسلمون حيث كانوا يشرعون في بناء المسجد في كل بلد يفتحونها ليكون مقراً للدولة الإسلامية الجديدة ومنطلقاً لتعليم الدين الإسلامي.

فالمسجد تخرج منه القادة الذين هزوا العالم وزعزعوا أركان الكفر وزلزلوا أرجاءه.

رابعاً: الدور الصحي للمسجد :

لقد اعتنى الإسلام بالمسلمين من جميع نواحي الشخصية الإسلامية الروحية والعقلية والجسدية ، ولقد ظهرت عنايته هذه بتوجيهاته وأهدافه التربوية التي اتصفت بالشمولية والتكامل والتوازن .

فمن الأمور التي اهتم بها الدين الإسلامي (النظافة) في الملبس والبدن والمكان ، وفي ذلك ما فيه من الصحة الجسدية من الأمراض والأوبئة وفيه من الصحة النفسية ما يجلب للنفس الراحة والطمأنينة والهدوء.

وفي النظافة استئناس الآخرين وعدم نفورهم لأن النفس تنفر من الأقذار والأوساخ والأدران أشد من نفورها من أي شيء آخر مهما عظم.

وأثنى القرآن على أهل مسجد قباء والمسجد النبوي بحرصهم على التنظف والتطهر ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾. (التوبة : ١٠٨).

والصلاة ليست عبادة روحية فحسب ، إنها نظافة وتطهر ، وتـزين وتجمل ، اشترط الله لها تطهر الثوب والبدن والمكان من كل خبث مستقذر وأوجب التطهر بالغسل والوضوء . قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ { الأعراف : ٣١ }. والمقصود عند تهيؤكم للصلاة لا بد أن تتزينوا .

ويبدو لنا حرص الإسلام على استخدام السواك وذلك لما فيه من الفائدة الصحية للبدن عن طريق تنظيف الفم والأسنان.

هذه الفوائد الصحية من آثار الوضوء والسواك تعود على الجسد بالصحة أو الوقاية من المرض. وهناك جانب نفسي يعود على النفس من التردد على المسجد وفي داخل المسجد وقيل هذا أثناء تأهب المصلي للذهاب إلى المسجد وفي الصلاة راحة نفسية عظيمة مما قد يختلج في النفس من الهموم.

والصلاة التي تذهب الهم والحزن ويجد فيها المصلي الراحة النفسية التي ينشدها من همومه وضيق صدره أنما هي الصلاة التي تتم بخشوع وتضرع إلى الله بعد اكتمال شروطها وواجباتها حتى يصل العبد إلى درجة الاتصال بخالقه ، قال تعالى ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ { الرعد : ٢٨ }.

وذكر الله له أثر كبير في تربية النفس وتعديل السلوك ، فالذي يذكر الله ويتصور عظمته وجلاله يخشع قلبه ويحسب لملاقاته كل حساب فلا يصدر عنه من الأفعال إلا كل خير ، ومن ذلك لا يتسرب إلى نفسه القلق والاكتئاب وما شابه ذلك من الأمراض النفسية.

ويظهر لنا مما سبق مدى اهتمام الإسلام بالصحة الجسدية والنفسية من خلال الصلاة ، ولذا فقد حرص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أداء الصلاة كما أرادها الإسلام لما وجدوه من الفائدة الكبرى في صحة أجسادهم وراحة نفسياتهم من أدائهم لها.

ومن ذلك يتبين الدور الصحي الذي يؤديه المسجد في المجتمع الإسلامي كما كان يقوم على عهد رسول الله – مقام المستشفيات العسكرية التي يمرض فيها الجرحى والمرضى من آثار المعارك والغزوات التي كانت تدور بين المسلمين وأعدائهم .

(فقد كان بالمسجد خيمة السيدة رفيدة الصحابية التي كانت تقوم بتمريض الجرحى وتضميد جروحهم بالمسجد ، وأيضاً خيمة أخرى لبني غفار ، وكذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن تضرب خيمة بالمسجد لسيدنا سعد بن معاذ لما أصيب في (أكحله) يوم الخندق ليكون قريباً منه فيراه ويعوده) { بحوث مؤتمر رسالة المسجد ، ١٣٩٥هـ ، ص٢٢٥ }.

هكذا كان المسجد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقراً لتمريض أصحابه إضافة إلى الجانب الذي ذكرنا – جانب الصحة الجسدية والنفسية التي تعود على المسلم من أدائه للصلاة والتجهيز لها من غسل ولبس وطهارة وسواك ومناجاة للرب واعتراف بالذنوب والخطايا وطلب العفو والمغفرة وتضرع بقبول التوبة ومعاهدة على الإخلاص في العمل وعدم العودة إلى ارتكاب الخطأ واقتراف الذنب.

خامساً : الدور الإعلامي للمسجد :

إن المجتمع الإسلامي وهو في طور التكوين محتاج إلى معرفة كثير من الحقائق والأمور التي تكشف لأفراده حقيقة هذا التكوين .

وإذا علمنا أن الرسالة المحمدية رسمت الطريق لقيام هذا المجتمع الإسلامي وان الرسول صلى الله عليه وسلم يستقبل الأوامر من ربه عن طريق الوحي ، إذا علمنا هذا يتبين لنا أهمية الوسيلة التي تصل بها هذه الأوامر إلى الناس في ذلك المجتمع . ولن تكون هناك وسيلة أقوى وأنجح من المسجد .. إذ أن المسلم يرتاد المسجد في اليوم والليلة خمس مرات ، ويجتمع المسلمون جميعاً في المسجد يوم الجمعة وفي المسجد تملى الأوامر وتبلغ إلى المسلمين على هيئة آيات يتلوها الرسول صلى الله عليه وسلم أو أحاديث يبلغها إليهم ، أو توجيهات وإرشاد يشير إليها صلى الله عليه وسلم .

ولقد كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤدي هذا الدور الإعلامي إلى جانب إقامة الصلاة فيه ، وإلى جانب الأدوار التربوية الأخرى سواء الاجتماعي أو التعليمي أو العسكري أو الخلقي.

(وإذا كنا نقول اليوم – أن أبرز مجموعة الأهداف التي تتجه إليها وسائل الإعلام – مقروءة ، أو مسموعة ، أو مرئية ، هي التوجيه والإرشاد ، التفسير والإيضاح ، التثقيف.

فمن الحق أن يقال أن الأحاديث النبوية الكريمة ، وأن الخطب قد أتت على هذه الأهداف (الجادة) جميعها .. بحيث تحققت هذه الأغراض تماماً من خلال الوسيلتين)

{ مجلة الفيصل ، ١٣٩٨هـ ، ص٢١ } ويقصد بها الأحاديث النبوية والخطب .

ونظراً لأنه لا توجد وسائل إعلام – كالتي تعرف اليوم – فلقد أدى المسجد دوراً إعلامياً كبيراً ، إذ لا يوجد مكان يجتمع فيه الناس اجتماعاً موقوتاً كالمسجد.

ولقد ألف المجتمع الإسلامي – آنذاك – تلقي الأوامر والأخبار والتوجيهات في المسجد سواء قبل الصلاة أو بعدها مباشرة ، كما ألف النداء (الصلاة جامعة) إذا اسجد أمراً أو طرأ ما يستوجب إعلام المسلمين به في وقت غير وقت الصلاة إما لأهمية الأمر أو خطورته.

(وكان كلما جد أمر يستدعي اطلاع المجتمع عليه أو أخذ رأيه فيه نودي أن : الصلاة جامعة ، الصلاة جامعة ، فيجتمع المسلمون بالمسجد ويتم الغرض الذي نودي على الناس بالاجتماع من أجله ، إن إعلاماً أو توجيها أو شورى ، في المسجد نفسه) وتذاع الأنباء التي تهم الأمة . { القرضاوي ، ١٣٩٣هـ ، ص٢٢٣ }.

(ومن دور المسجد الإعلامي إعلان النكاح فيه كما أثر ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يعقدون فيه عقود زواجهم) { المرجع السابق ، ص٢٢٧ }.

وفي المسجد تتم المنافحة عن الإسلام ، فقد ثبت أن حسان بن ثابت صاحب رسول الله وشاعره كان ينشد الشعر في المسجد النبوي في إظهار محاسن الإسلام ، والمنافحة عن رسول الله وعن المسلمين وإظهار فضائلهم.

وهكذا يتبين لنا الدور الإعلامي الذي كان يؤديه في المجتمع الإسلامي الأول . وهو دور له أهميته وأثره في بناء المجتمع الإسلامي على

الخطة والقواعد التي رسمتها التربية الإسلامية المستمدة أهدافها من القـرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. { الرشيد ، ١٤٠١هـ ، ص١٥-٤٦ }.

سادساً : الأسباب التي أدت إلى نجاح المسجد في قيامه بهذه الأدوار :

ظهر لنا ضخامة الأدوار التي قام بها المسجد في تربيـة المجتمـع الإسلامي في عهد صدر الإسلام والتي كانت تهدف جميعها إلى بناء شخصية المجتمع الإسلامي ، كما ظهر لنا شمولية أهداف التربية الإسلامية لجوانـب الحياة الإنسانية بتكامل وتوازن واتساق دون أن يطغى جانب علـى آخـر ، حيث كان المسجد وسيط فعال وإيجابي في تحقيق هذه الأهـداف (الـديني والتعليمي والاجتماعي والعسكري والصحي والإعلامـي) والتـي تسـعى جميعها إلى تنمية المسلم من الجانب الروحي والعقلي والجسمي ، مع إيمانها بأنه يمثل الجماعة الإسلامية كما ظهر لنا حرص التعاليم الإسـلامية علـى جذب الفرد المسلم إلى المسجد وجعله مرتكز حياته العامة والخاصـة فـي مجتمعه ومع نفسه وبينه وبين ربه . وظهر لنا أيضاً كيف استطاع المسـجد أن يكون الجماعة الإسلامية الأولى .

كل ذلك جاء نتيجة للظروف والأسباب التالية :

أولاً : أن الفارق بين حال الناس في الجاهلية وحالهم في الإسلام هـو ولا شك حصيلة تربوية إسلامية رباهم عليها رسول الله صلى الله عليـه وسلم على منهج القرآن وبوحي تعاليمه السماوية.

ثانياً : حرص المسلمين على تعلم القرآن الكريم وتدارسه في المسجد مما حقق الأهداف التربوية للتربية الإسلامية المنبثقة من تعاليم هذا الدين الحنيف . والقرآن الكريم هو أداة التربية الإسلامية الأولى حين يتلقاه الإنسان بقلب متفتح فيتلقى منه الشحنة المقدسة التي أودعها الله فيه .

ثالثاً: المكانة التي احتلها المسجد في حياة المسلمين حيث كان مركز ترابط الجماعة الإسلامية ووحدتها ، وهيكلها المادي المحسوس ، فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجدها حيث أداء الصلاة والتشاور وتبادل الرأي والتعلم والتجهيز للحرب وسماع الأخبار والأنباء ومعرفة أحوال بعضهم البعض وتدبير أمورهم وشئون دولتهم وفصل خصوماتهم وجمع زكاتهم وصدقاتهم وهكذا حتى أصبح المسجد ضرورة حتمية لكل مسلم ولجماعة المسلمين.

رابعاً : عظم الدور الاجتماعي الذي قام به المسجد ، حيث انعدمت الفوارق .. الجنسية بين الناس ، فلا عنصرية ، ولا طبقية ، ولا تفاضل بينهم في أمور الحياة ، وهذا الجانب كان له الأثر الواسع والعميق في حياة المسلمين جميعهم.

خامساً : إن العقيدة الصحيحة هي التي تحدد للإنسان مكانه الصحيح في الكون وتسدد خطاه في الزمان والمكان ، حيث تعين له وجهته الصائبة وترسم له طريقه المستقيم فيستقيم وجدانه وسلوكه ومشاعره وأعماله ومبادؤه وواقعه ويصبح كما ينبغي أن يكون وحدة متماسكة وقوة إيمان المجتمع بهذه العقيدة جعلت منه الصورة المثالية التي تنشدها (التربية) في هذه العقيدة.

سادساً : الشعور الداخلي (النفسي) الذي أوجدته العقيدة الإسلامية لدى كل فرد من هذا المجتمع ، هذا الشعور جعله يحس بعظمة تعاليم وقيم ومبادئ المجتمع الجديد بالنسبة للمجتمع الجاهلي ، ذلك أنها مستمدة من تعاليم وقيم ومبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
مما ضمن للجميع حياة كريمة في ظل الدين الإسلامي الحنيف ، هذا الشعور جعل المسلمين حريصين على وحدة الكلمة ووحدة الرأي ووحدة الاتجاه ، وهذه ثمرة جناها المجتمع من ثمار المسجد.

سابعاً : تدرج الشريعة الإسلامية مع الناس في نموهم ونضوجهم (الديني) من التساهل إلى التشدد ، ومن التعميم إلى التفصيل والتخصيص فيما يتعلق بالتعاليم والأوامر الشرعية والأحكام ، حتى اكتمل الدين عقيدة وشريعة وأشربت النفوس حقيقته وجوهره ووقر في القلوب وصدقه سلوكهم وتعاملهم فيما بينهم.

ثامناً : اتخاذ الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده المسجد مقراً يقوم مقام جميع المرافق ، وتركزت فيه إدارة جميع شئون الحياة وارتبطت به جميع فئات المجتمع ، مما أكسب المسجد أهمية كبرى إلى جانب أهميته الدينية التي هي الأساس في جذب المسلمين وارتباطهم في المسجد.

تاسعاً : تركز التعليم في المسجد وخاصة التعليم الديني الذي كان المسلمون يتسابقون إلى الجلوس في حلقاته حيث أنهم بحاجة إلى تفهم هذا الدين (الجديد) ومعرفة قواعده وأصوله وتعاليمه وأحكامه ، وهذا أكسب المسجد أهمية أخرى غير الدينية والتعليمية – ألا وهي الأهمية

الاجتماعية – حيث كانت حلقات العلم تجمع طلاب العلم دون تفريق بينهم في أي أمر من الأمور .

عاشراً : استجابة المسلمين الصادقة لأوامر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، بشهود صلاة الجماعة في المسجد ، وسعيهم وراء الأجر والثواب من اعتيادهم للمسجد – بصورة منقطعة النظير – بنفسيات راضية ، ومقتنعة ومتهيئة لاستقبال درس تربوي إسلامي تكتسبه أو تستشعر به ، فيؤثر فيها ، ثم ينعكس على سلوكها وتعاملها.

نتائج البحث :

وختاما يمكن استخلاص بعض النتائج لعل من أهمها :

١. أن المسجد في صدر الإسلام كان يقوم بدور ريادي في تربية مجتمع ذلك العصر ، حتى تخرج من بين أروقته أفضل الناس بعد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

٢. أن المسجد في صدر الإسلام كان يمثل جامعة – إن جاز التعبير – تضم كل التخصصات التي يحتاج المجتمع لخدماتها ، حيث كان يقوم بوظائف متعددة ، فهو يقوم بوظيفة تعليمية وأخرى عسكرية وثالثة اجتماعية وغير ذلك .

٣. أن المسجد في صدر الإسلام كان يؤدي رسالة تربوية لأبناء المجتمع بالغة الأثر ويسهم في بناء شخصية المسلم بناء شاملا متكاملا .

توصيات البحث :

وبناء على ما سبق يوصي الباحث بالآتي :

١. يوصي الباحث بضرورة إبراز الدور الشامل الذي كان يقوم به المسجد في صدر الإسلام ، ودوره في تقدم المجتمع في كافة مجالات الحياة من خلال عقد الندوات والمؤتمرات لهذا الغرض .

٢. يوصي الباحث بأهمية الكشف عن الأدوار المشرقة التي كان يقوم بها المسجد في صدر الإسلام ومحاولة الاستفادة منها في واقعنا المعاصر .

٣. على المربين المسلمين الاستفادة من الأساليب التربوية التي كان يقوم بها المسجد في صدر الإسلام ، لما لها من أثر بالغ في الارتقاء بسلوك المتعلمين ، يندر أن تقوم بها أي مؤسسة تربوية معاصرة مهما بلغت إمكانياتها .

٤. يوصي الباحث بإجراء دراسة علمية مقارنة توضح الفرق بين الدور التربوي الذي كان يقوم به المسجد في صدر الإسلام والدور التربوي الذي يقوم به في العصر الحاضر ، ومحاولة إعادة المسجد إلى دوره الرائد في بناء الأمة الإسلامية .

٥. يوصي الباحث بإجراء دراسة حول كيفية تفعيل دور المسجد في الوقت الراهن للقيام بدوره المأمول في نهضة الأمة الإسلامية كما قام بذلك في صدر الإسلام .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الأبراشي ، محمد عطية (د.ت) التربية الإسلامية وفلاسفتها ، دار الكتاب الحديث: الكويت.

٣- ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي (١٤٠٥هـ) صفوة الصفوة ، تحقيق: محمود فاخري ، ط٣ ، دار المعرفة للطباعة والنشر: بيروت.

٤- ابن عبد ربه، أحمد محمد (١٤٠٣هـ) العقد الفريد ، دار الكتاب العربي: بيروت.

٥- ابن ماجة: أبي عبد الله محمد بن يزيد (د.ت) سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي: دار الفكر: بيروت.

٦- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل (١٣٩٦هـ) السيرة النبوية ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت: دار الفكر.

٧- أبو داود ، سليمان بن الأشعث (د.ت) سنن أبي داود ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٨- أبو غدة ، عبد الفتاح (١٤١٧هـ) الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم وأساليبه في التعليم ، ط١ ، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

٩- أبو النصر ، ممدوح الصرفي وآخرون (١٤٢١هـ) الدور التربوي والاجتماعي للمسجد ، رابطة العالم الإسلامي ، إيسيسكو .

١٠- الأثري ، أبو الفداء السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم (١٤١٠هـ) تخدير الراكع والساجد من بدعة زخرفة المسجد ، ط١ ، مكتبة السنة : القاهرة.

١١- الإدريسي، عبد الحي الكتاني (د.ت) التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربي: بيروت

١٢- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (١٤٠٩هـ) دلائل النبوة، ط١ ، دار طيبة: الرياض.

١٣- الأعظمي، محمد مصطفى(١٤٠١هـ) كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، ط٣، المكتب الإسلامي: دمشق.

١٤- الأنصاري ، ناجي محمد (١٤١٤هـ) التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى عام ١٤١٢هـ ، ط١ ، دار المنار : القاهرة.

١٥- الأنصاري ، محمد بن محمد الأمين (د.ت) ضباب على منار المسجد ، مكة المكرمة.

١٦- الأهدل ، عبد الله أحمد قادري (١٤٠٧هـ) دور المسجد في التربية ، ط١ ، جدة: دار المجتمع.

١٧- باقارش ، صالح سالم ، وعبد الله السبحي (١٤١٠هـ) أصول التربية الإسلامية العامة ، ط١ ، دار الثقة للنشر: مكة المكرمة.

١٨- البخاري ، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (١٤١٥هت) صحيح البخاري ، تحقيق محمد علي قطب ، بيروت: المكتبة العصرية.

١٩- البزار ، أبوبكر أحمد (١٤٠٩هـ) مسند البزار، ط١، مؤسسة علوم القرآن: بيروت.

٢٠- البصري ، الربيع بن حبيب (١٤١٥هـ) مسند الربيع ، ط١ ، دار الحكمة: بيروت.

٢١- بهجت ، عبد المعطي (د.ت) رسالة المسجد ، دار الأنصار.

٢٢- الترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى (د.ت) الجامع الصحيح ، تحقيق: أحمد شاكر ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٢٣- جابر ، جابر عبد الحميد ، وكاظم ، أحمد خيري (١٩٧٨م) مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ط٢ ، دار النهضة: القاهرة.

٢٤- الجراحي ، إسماعيل بن محمد (١٤٠٥هـ) كشف الخفاء ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة: بيروت.

٢٥- الجزائري ، أبوبكر جابر (١٤١٠هـ) هذا الحبيب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محب ، ط٤ ، مكتبة السوادي : جدة .

٢٦- الجهني ، سعود بن بنيان (١٤١٩هـ) الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى.

٢٧- الحربي ، سند لافي الشاماني (١٤١٠هـ) التعليم في المدينة المنورة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المدينة المنورة ، كلية التربية ، فرع جامعة الملك عبد العزيز.

٢٨- حسن، حسن إبراهيم (١٩٦٤م) تاريخ الإسلام، ط٧، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة.

٢٩- حسنين ، عدنان سعيد أحمد (١٤١٣هـ) الاقتصاد وأنظمته وقواعده وأسسه في ضوء الإسلام ، ط١ ، المجموعة الإسلامية: جدة .

٣٠- الخطاب ، محمد شيت (١٤٠١هـ) الوسيط في رسالة المسجد العسكرية ، ط٧ ، دار القرآن الكريم : بيروت.

٣١- الخطراوي ، محمد العيد (١٤٠١هـ) الرائد في علم الفرائض ، ط٥ ، دار التراث: المدينة المنورة.

٣٢- الدارقطني ، علي بن عمر (١٣٨٦هـ) سنن الدارقطني ، دار المعرفة: بيروت.

٣٣- الرازي، عبد الرحمن بن محمد (د.ت) تفسير ابن أبي حاتم، المكتبة العصرية: صيدا.

٣٤- الرشيد ، عبد العزيز راشد علي (١٤٠٢هـ) رسالة المسجد التربوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى.

٣٥- الزعبي ، محمد عفيف (١٤٠٧هـ) مختصر سيرة ابن هشام، مراجعة عبد الحميد الأحدب ، ط٧ ، دار النفائس : لبنان.

٣٦- زيدان ، عبد الكريم (١٣٨٨هـ) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، ط٦ ، مؤسسة الرسالة : بغداد.

٣٧- السباعي، مصطفى (١٤٠٥هـ) السنة ومكانتها في التشريع، ط٤، دار الفكر: بيروت.

٣٨- السدلان ، صالح بن غانم (١٤١٥هـ) المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في المجتمع ، ط١ ، دار بلنسية : الرياض.

٣٩- الشافعي، أبوالقاسم علي بن الحسن (١٩٩٥م) تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر:بيروت.

٤٠- الشافعي ، محمد مدحت صابر (١٤٠٠هـ) من هدي الإسلام والتربية الجسمية ، ط٢ ، مركز البحوث التربوية والنفسية: مكة المكرمة.

٤١- الشهري ، صالح أبو عراد (١٤١٢هـ) الدور التربوي للمسجد في الإسلام ، مجلة التضامن الإسلامي (الحج) ، السنة ٤٦ ، ج١١ ، جماد الأولى ، مكة المكرمة ، وزارة الحج.

٤٢- الشيباني ، أحمد بن عمرو بن الضحاك (١٤١١هـ) الآحاد والمثاني ، ط١ ، دار الراية: الرياض.

٤٣- شلبي ، أحمد (١٩٧٨م) التربية الإسلامية نظمها – فلسفتها – تاريخها ، ط٦ ، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة.

٤٤- الصالح ، صبحي (١٩٨١م) علوم الحديث ومصطلحه ، ط١٣ ، دار العلم للملايين: بيروت.

٤٥- الصنعاني ، أبوبكر عبد الرزاق بن همام (١٤٠٣هـ) مصنف عبد الرزاق ، ط٢ ، المكتب الإسلامي: بيروت.

٤٦- الطبري ، أحمد بن عبد الله (١٩٩٦م) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي : بيروت.

٤٧- الطبري ، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد (١٤١٥هـ) المعجم الأوسط ، تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني ، دار الحرمين: القاهرة.

٤٨- الطنطاوي ، محمود السعيد (١٣٩٣هـ) رسالة المسجد والإمام صلة بين الدين والحياة ، كتب إسلامية ، العدد ١٤٣ ، السنة الثالثة عشرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: القاهرة.

٤٩- عبيد ، منصور الرفاعي (١٤١٧هـ) مكانة المسجد ورسالته ، مكتبة الدار العربية للكتاب: القاهرة.

٥٠- العربي ، أبوبكر (١٤١٦هـ) أحكام القرآن ، دار الكتب العلمية: بيروت.

٥١- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (١٣٧٩هـ) فتح الباري ، دار المعرفة: بيروت.

٥٢- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر (١٣٨٤هـ) تلخيص الحبير ، المدينة المنورة.

٥٣- علي ، سعيد إسماعيل (١٩٧٨م) معاهد التعليم الإسلامي ، دار الثقافة: القاهرة.

٥٤- القرضاوي ، يوسف (١٣٩٣هـ) العبادة في الإسلام ، مؤسسة الرسالة: بيروت.

٥٥- القرطبي، محمد بن أحمد (١٣٧٢هـ) تفسير القرطبي، ط٢، دار الشعب: القاهرة.

٥٦- القرني ، عايض بن عبد الله (١٤١٢هـ) المسجد مهد الانطلاقة الكبرى ، ط١ ، دار الوطن للنشر : الرياض.

٥٧- قطب ، سيد (١٣٩٨هـ) نحو مجتمع إسلامي ، ط٣ ، دار الشروق: بيروت.

٥٨- قطب ، محمد (د.ت) منهج التربية الإسلامي ، ط٢ ، دار الشروق: جدة.

٥٩- المباركفوري ، صفي الرحمن (١٤١٦هـ) الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية ، دار المؤيد: الرياض.

٦٠- مجموعة من الكتاب (١٣٩٥هـ) بحوث مؤتمر رسالة المسجد ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي ، دار عكاظ للنشر والطباعة: جدة.

٦١- محمود ، علي عبد الحليم (د.ت) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي ، دار المعارف: القاهرة.

٦٢- مختار ، علي محمد (١٤٠٢هـ) دور المسجد في الإسلام ، دعوة الحق ، العدد ١٤ ، السنة الثانية ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامي .

٦٣- مسلم ، مسلم بن الحجاج (١٩٧٢م) صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٦٤- منديلي ، خالد حسن الدين (١٤١٢هـ) الدور التربوي للمسجد الحرام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مكة المكرمة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى.

٦٥- مؤنس ، حسين (١٤٠١هـ) المساجد ، عالم المعرفة ، العدد ٣٧ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون : الكويت .

٦٦- النحلاوي ، عبد الرحمن (١٤٠٣هـ) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، ط٢ ، دار الفكر: دمشق.

٦٧- النسائي، أحمد بن شعيب (١٤١١هـ) السنن الكبرى، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت.

٦٨- النسائي ، أحمد بن شعيب (١٤١٦هـ) سنن النسائي ، دار الكتب العلمية : بيروت.

٦٩- الهيثمي، علي بن أبي بكر (١٤٠٧هـ) مجمع الزوائد، دار الريان للتراث: القاهرة.

٧٠- الوشلي ، عبد الله قاسم (١٤٠٨هـ) المسجد وأثره في تربية الأجيال ، ط١ ، مؤسسة الرسالة: بيروت.

٧١- الوكيل ، محمد السيد (١٤٠٩هـ) المسجد النبوي عبر التاريخ ، ط١ ، دار المجتمع: جدة .